

القُبَيْسيّات

مجتمع داخل المجتمع

ثائر بن علي الحلاق⁽¹⁾

تعد هذه الورقة "البحثية" من بواكير الدراسات "الأكاديمية" عن "القبيسيات" تلك الجماعة التي شغلت بعض مثقفي المجتمع السوري في العقدين الأخيرين من هذا العصر؛ إذ تبوأَت أخبارها مكاناً علياً خلال الثورة وقبلها؛ نتيجة التغير الذي أصاب منهج الجماعة، بانتقال دعوتها من السر المحير إلى الجهر، ومن ضبابية الرؤية إلى وضوحها؛ حيث اتخذت موقفاً سياسياً يخالف مسلكها في نشأتها الأولى وإلى عهدٍ قريب، فقد تجاوزت تلك الحيادية إلى ولائٍ مطلقٍ للنظام حتى غدت جزءاً مهمّاً من بنيته وبنائه.

تأتي أهمية هذه الدراسة من التعريف بالجماعة، وبيان أثرها في الدعوة، وعلاقتها بالجماعات الأخرى، ومنهجها وصلاتها السياسية، وأسباب انتشارها وانقسامها، ومن ثم تناول أصولها الفكرية والدعوية، وختمت بالحديث عن مستقبلها.

وتكتسب الدراسة أهمية خاصة من حيث إن كاتبها بوصفه أستاذاً جامعياً في كلية الشريعة بدمشق، فقد اعتمد في إعداد مادتها الأولى على معلوماتٍ مباشرة استقاها من بعض طالبات كلية الشريعة المنتسبات إلى الجماعة.

وأرجو أن أكون قد لامست واقع الجماعة من غير أن أقولها ما لم تقل، أو أنسب إليها ما ترى خلافه، ولا بد أن نعترف بوجود صعوبات منهجية ليس في قدرة الباحث تذليلها كلها وتجاوزها، وهي أن الجماعة لم تتحدث عن نفسها كتابة أو مشافهة، ومن هنا لا نستطيع أن نقطع بدقة المعلومات عنها؛ لأن الاستقرار الكامل متعذّر والناقص لا يفيد اليقين، كما أن الجماعة مهما بلغت في تماسكها وشدة تنظيمها لا يمكن أن تعد لوئناً واحداً؛ لتباين «ثقافتهم» و«سلوكهم» و«بيئتهم»، ومن ثم فالطالبة عندما تتحدث عن الجماعة إنما تقدم رؤيتها عن أنسيتها المباشرة، وعمن تعاقب على تدريسها في المستويات التي تدرجت فيها، فقد تسلك أنسة مسلکا لا تقبل به أخرى، ومن هنا فإن بعض الآراء الواردة ههنا قد لا تكون موضع إطباق لدى الجماعة، ولهذا نتوقع أن نواجه من قبل بعضهم - على الأقل - سهاماً من النقد والنقض.

ولا يفوتني أن أشكر الأخوة/الأخوات الذين وقفوا على مسودة هذه الدراسة؛ فرمموا نقصاً أو صوبوا رأياً أو اقترحوا إضافة معلومةٍ أو حذف أخرى.

(1) ثائر بن علي الحلاق: مدرّس العقائد والأديان بجامعة دمشق

توطئة

قبل الكلام عن الجماعة لا بد أن نتوقف عند نقطتين مهمتين:

أولاً: الدراسات السابقة

على الرغم من شهرة الجماعة؛ فإن الدراسات الأكاديمية عنها قليلة جداً، وهذا القليل متحيز لمن أو علمين، وفي الحالين تغيب الموضوعية العلمية وتغيب، كما أن معظم تلك الدراسات لم تراعى البيئة التي نشأت فيها هذه الجماعة، فنوقشت تلك الظاهرة بمعزل عن محيطها وعن صلتها بالجماعات الأخرى⁽²⁾، وتأتي صعوبة دراسة هذه الجماعة من كونها سرية مغلقة، تتناقل تعاليمها شفويًا بين خواص الجماعة، وهذا الأمر جعلهم عند الآخر في دائرة التهم والريب:

1. خصوم "القبسيات"؛ ومنهم:

أ. الاتجاه السلفي الذي صنّف "القبسيات" بوصفهن امتدادًا طبيعيًا لمفتي سورية السابق أحمد كفتارو (ت2003م) الصوفي النقشبندي غارقات في الشطح والبدع⁽³⁾، ونتيجة ذلك ألزمن بالمعتقدات السلبية للتصوف الفلسفي من "حلول" و"اتحاد" و"وحدة وجود" و"اعتقاد الرابطة" بوصفها لونًا من ألوان الشرك⁽⁴⁾، كما ظهرت فتاوى تحذر من فكرهن؛ بل والزواج منهن ما لم يتبن التوبة النصوح، وبعض المتأسلفة لاحظ جانبًا آخر وهو سرية الجماعة، فجعلها من الفرق الباطنية كالدروز والقاديانية، ولكن بأدوات سننية استغلها النظام في ما بعد لتحقيق مآربه:

ب. الأحباش: وهم فرقة أشعرية المذهب رفاعية المشرب تنتشر في لبنان، والاختلاف في الطريقة قد يعد مسوغًا للخصومة، وهذا أمرٌ لا نعدم وجودًا له في تاريخ الجماعات والفرق، ومن هنا لم يتردد هؤلاء من اتهامهن ابتداءً بالحلول والاتحاد وانتهاءً بالكفر⁽⁵⁾ غير أن للخصومة سببًا آخر، وهو أن انتشار "القبسيات" في لبنان قد أشعل التنافس بين الجماعتين على استقطاب النساء.

ج. معارضة النظام (العلمانيون): لم ير هؤلاء فهن سوى مؤسسة أمنية ناعمة حاولت أن تقدم النظام بصورة المقاوم الممانع والوطني الشريف الذي ناضل كثيرًا وضحى كي يحفظ سورية من عنف الإرهابيين وخطر الانقسام الطائفي، ويلاحظ على هذا الاتجاه أنه حكم على الجماعة من زاوية موقفها السياسي في عقدها الأخير، فوحد بينها وبين النظام؛ بل جعلها ظله، وفي ذلك إسراف في العداء يمجه المنهج العلمي الرصين.

ومن جانب آخر لم يتردد أحد هؤلاء المعارضين تحت تأثير غلو علماني _ وهو عبد الرزاق عيد _ من وصفهن

(2) انظر: القَبْسيّات: النشأة والتكوين <https://www.jusoor.co/details>

(3) انظر: نبيل الملحم، القَبْسيّات في سورية، بين التكفير والتجديد والحيرة، 16/09/2006م. <https://www.albawaba.com/ar>

(4) انظر: القَبْسيّات المتنظّمات النسائي الصوّفي، مجلّة الرّاصد www.alrased.net، العدد (33)، ربيع الأول، 1427هـ.

(5) انظر: أسامة أحمد السيد، التنظّم النسائي الخطير، ط1، (بيروت: دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع، 1424هـ)، ص 28-32.

بالسحاقيات⁽⁶⁾، بغية التنفير منهن في مجتمع شرقي محافظ، مستندًا في ذلك إلى موقفهن السلبي من الرجال، فجعلن اتجاهًا نسويًا لا جماعة نسائية.

واتهمن أيضا بأسلمة المجتمع من خلال السيطرة على الناشئات؛ ولم يتردد هؤلاء من وصفهن بالتهمتين الشائعتين: الإرهاب والتكفير⁽⁷⁾.

د. أصحاب الفكر: يرجع عداء هذا الاتجاه لهن إلى طريقة نظامهن التعليمي الذي يغيب الوعي لصالح التعصب والتقليد، لذا وجدوا في دعوتهم دعوةً للتخلف واغتيال العقل (مقابلة: م. م، 2020م).

هـ. وبعضهم وجد فيهن تنظيمًا ماسونيًا خالصًا⁽⁸⁾، وآخرون اتهموهن بالشعوذة: ممارسة السحر وتحضير الجن⁽⁹⁾، وهذا رجم بالغيب وكلام مرسل، وقد فسرت إحدى المعلمات سبب هذه التهمة: بأنه شاع لدى الجماعة إذا أرادت إحداهن حاجة، أو كانت تعاني من مشاكل مع أهلها أو زوجها؛ أرشدتها أنستها لقراءة بعض السور والأذكار في أوقات محددة على كأس ماء؛ ثم تشرب منه وتشرب أهلها أو زوجها دون علمهم على نية إبطال السحر وطرده الشيطان، فظن بعض من لا يعلم أن ذلك استعانة بهم (مقابلة: س، 2020م)

2. مؤيدو القبيسيات

تمثل هذا الاتجاه في بعض الشخصيات التي تتصل اتصالًا مباشرًا بـ"القبيسيات" وتعد من مرجعياته الروحية كأحمد كفتارو حيث كان يقدر الأنسة منيرة كثيرًا ويخاطبها بالبطلة، أما ساعده الأيمن محمد بشير الباني ووريثه فيصفها بالشمس⁽¹⁰⁾.

والفكرية كالدكتور البوطي الذي أشاد بسلامة منهجهن وبحسن ولائهن للوطن، ومحمد حبش -وهو عضو مجلس الشعب سابقًا- الذي نفى ماثار حولهن من شائعات وامتدح طريقتهم الدعوية وكفاءتهم، وكذلك الأمر عند أصحاب المدارس التقليدية؛ وبعد شهرتهم أصبحت كل جماعة ترى فيهن امتدادًا طبيعيًا لها، وتوج هذه المواقف الداعمة وزارة الأوقاف السورية؛ إذ تبنت هذه الجماعة تحقيقًا لمصالح النظام، ومنحت بعض الشخصيات النسائية مكانًا عليا في مناصب سيادية في وزارتها (سنعرض لذلك بعون الله تعالى).

3. الاتجاه المحايد وشبه المحايد

الدراسات تحت هذا النوع نادرة جدًا، ومن هذا النادر: دراسة حديثة عهد لـ«محمد خير موسى» وسمها بـ"القبيسيات الجذور الفكرية والمواقف السلوكية"، وميزتها كما ذكر صاحبها في مقدمتها أنه اعتمد في إعدادها على

(6) <https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=418590&r=0>

(7) انظر: نبيل الملحم، القُبيسيّات في سورية، 16/09/2006م. [/https://www.albawaba.com/ar/](https://www.albawaba.com/ar/)

(8) انظر: القُبيسيّات والماسونية، موقع الواقع نيوز WWW.WAQEA-NEWS.COM.

(9) انظر: هوازن خداج، القُبيسيّات.. المعلن الدّعويّ والمضمّر السّياسي، 16/09/2016م. <https://alarab.co.uk>

(10) انظر عمر عمادي: علمانية تنظيميًا: الحركات الإسلامية الدمشقية والثورة السورية، 31/10/2018. <http://alaalam.org/ar/translations-ar/item/678-712310318>

شهادات حية من داخل الجماعة⁽¹¹⁾، وأخرى نشرت بعنوان: "جماعة القبيسيات النشأة والتكوين"⁽¹²⁾، وثالثة لـ «ليلي الرفاعي» تحت عنوان: "القبيسيات تنظيم ديني نسوي لا يدخله الرجال"، وقد نالت هذه الدراسة حظاً وافراً من نقد بعض الجماعات المرتبطة بـ "القبيسيات" بوصفها متحيزة ولم تنقل الحقيقة كاملة ولا قاربت⁽¹³⁾، واستحسنها غيرهم لأسباب متعددة، ومن هنا وضعت تحت هذا التصنيف.

ثانيًا: صلة الباحث بالجماعة

حصلت في عام (2005م) على درجة الدكتوراه من جامعة القاهرة، وعينت مدرساً في كلية الشريعة، قسم العقائد والأديان، فكان من أول اهتماماتي وأولها بالعناية الجانب الفكري بوصفه وسيلة نشر الوعي المناسب للخروج من التيه الذي سجن فيه الخطاب الديني أنصاره، فكانت المحاضرات أشبه بحلقة صراع منحت فيها الطلبة حق الحوار والرد بغية زرع الثقة بالنفس، فمن حق الطالب أن يحاور ويعترض وينتقد ضمن حدود الأدب، وهنا حصل صدام مباشر مع أتباع الجماعات التقليدية؛ إذ ما طرح في المحاضرات يخالف ما تربوا عليه في حلقاتهم الدراسية المغلقة، فلم يعد الشيخ هو مصدر المعلومة وتحطمت تلك القواعد الحاكمة لعلاقة المريد بالشيخ كقولهم: "من ليس له شيخ فشيخه الشيطان"، و"من يجمع بين شيخين كالمرأة التي تجمع بين زوجين"، و"كن أمام شيخك كالبيت أمام مغسله"، و"خطأ شيخك أفضل من صوابك"، و"لا يجوز أن تنكر على شيخك شيئاً ولا تخف عنه شيئاً"، و"شيخك أعلم بك منك"، و"لا تسأل فتحرم" إلى غير ذلك من القيود التي تجعل المريد أسيراً مكبلاً بالأغلال.

كانت الطالبات "القبيسيات" يجدن في كل كلمة أقولها مطرقة تنزل على الرأس، فاعترضت بعضهن على طريقة إدارة المحاضرة، وما يقال فيها وضرورة الالتزام بالكتاب الجامعي المقرر، ومع الأيام زادت الفجوة بين شخص يؤمن بتعدد الآراء وأن الإنسان لم يخلق ليقاد، وبين طالبات قطعن شوطاً بعيداً في التسليم المطلق لمربية سلبت منهن حتى حرية الاختيار في الأمور الشخصية الضيقة؛ فاتجهن من الحوار إلى التحذير مني بعد أن قاطعن المحاضرات النظرية التي لا تشترط حضوراً وبقي اللقاء على وجه الاضطراب والندرة في القسم العملي، ثم أتاحت لي فرصة التدريس في المعهد العالي للعلوم الإسلامية والعربية بدمشق، وبتكليف من مديره آنذاك الدكتور محمود نفيسة الذي أسند لي تدريس «مادة الفكر المعاصر»، فكانت فرصة كبيرة للوقوف على الاتجاهات الفكرية كافة الإصلاحية منها والعلمانية، فأحدثت هذه المادة صدمة كبيرة لبعض الاتجاهات؛ إذ لم يكن مألوفاً تدريس هذه المواد وبهذه الطريقة في سورية؛ حيث كلفت الطلاب بقراءة كتب الجابري وأركون وحسن حنفي والقصبي وشحرور، ومن جانب آخر محمد عبده، والأفغاني، ومالك بن نبي، ورشيد رضا، والغزالي المعاصر، وسائر أصحاب الاتجاه التجديدي، وكانت المفاجأة أن بعض الطالبات - ممن ينتمين للجماعة - أخذن يتقبلن هذا الطرح؛ بل ناقشن الأنسات في بعض المسائل فكانت النتيجة الحاسمة بلا تردد فصلهن من الجماعة واستعداد صديقاتهن علمين وهجرهن، وقد أفدت من صلتي بهؤلاء الطالبات في رسم صورة أولى عن هذه الجماعة.

(11) ط1 (استنبول/الفايح: كتاب سراي، 2020م).

(12) لم يذكر اسم كاتبها، نشرت بتاريخ 2017/12/19م انظر <https://jusoor.com/details>

(13) نشرت بتاريخ 2017/8/5م انظر <https://www.aljazeera.net/midan/intellect>

المطلب الأول: تعريف عام بالقبيسيات

نتكلم في هذا المطلب عن المسائل الآتية: النشأة والتسمية، والهيكل التنظيمي، والنشاط الدعوي، وطبيعة العلاقة بين المتعلمة والمعلمة، وأهم الشخصيات والمؤلفات.

أولاً: النشأة والتسمية

جماعة نسائية دعوية نشأت في دمشق، تستهدف الطبقة الثرية وصويحيات الكفاءة العلمية، ومن دمشق انتشرت إلى دول أخرى، ويختلف الاسم الذي يطلق عليهن باختلاف البلد الذي ينتشرن فيه. ففي دمشق قبيسيات نسبة إلى منيرة القبيسي، وفي لبنان السحريات نسبة لسحر حلي (ت2020م) زعيمة الجماعة هناك، وفي الأردن طباعيات نسبة لفادية الطباع، وفي فلسطين بنات فدوى نسبة لفدوى حميض⁽¹⁴⁾، وفي الكويت بنات البيادر نسبة لجمعية بيادر السلام التي تهيمن عليها أنسات الجماعة⁽¹⁵⁾.

وتأسيساً على ما سبق، فنساء الجماعة منظمات ولسن تنظيمًا، كما أنها تختلف عن الحركة النسوية التي تنادي بمساواة الجنسين سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، ودعم المرأة والاهتمام بها⁽¹⁶⁾.

تعود التسمية إلى منيرة القبيسي (تولد دمشق عام 1933م)، ما تزال على قيد الحياة حتى اليوم وقد أقعدتها مرضٌ عضال، تخرجت من جامعة دمشق كلية العلوم، وعملت مدرسةً لتلك المادة في إحدى مدارس دمشق، ثم تابعت تحصيلها الديني في كلية الشريعة بدمشق؛ لتبدأ نشاطاً دعويًا في ستينيات القرن الماضي، لا نعرف كثيرًا عن تاريخ هذه المرأة سوى أنها من أتباع الشيخ أحمد كفتارو وطريقته الصوفية، وقد تربت على يديه ولازمت مجالسه⁽¹⁷⁾، ولكنها انفصلت عن الجماعة في ما بعد؛ لأسباب عدة، منها:

أ. تعرضها لمضايقات سببها طبيعة عمل الجماعات الدينية؛ إذ تمارس على أفرادها نوعًا من الوصاية الدينية⁽¹⁸⁾.

ب. إن مفارقتها لهم ترجع إلى المنافسة العدائية في ميدان الدعوة النسائية بين الأنسة منيرة ووفاء بنت أحمد كفتارو، غير أن ابن المفتي صلاح الدين نفى ذلك؛ لأن وفاء تلميذة منيرة، وليست قرينة لها⁽¹⁹⁾.

ج. رغبة الأنسة منيرة بتشكيل جماعة نسائية لا تتبع لأحد؛ بما تملك من مؤهلات، فالنفس البشرية تنزع إلى الاستقلالية؛ إذ ملك صاحبها إرادةً وطموحًا وكان مثقلاً بالهموم الدعوية بعد أن ضاق ذرعًا بالممارسات الدينية

(14) تخابرت مع بعض الأخوة في فلسطين بتاريخ 9/3/2020؛ فزودوني بمعلومات عنهن وجدتها مطابقة لمنهج "القبيسيات".

(15) انظر: «القبيسيات التنظيم النسائي الصوفي»، 2006م. <https://saaaid.net/feraq/sufyah/t/11.htm>.

(16) انظر ثائر الحلاق، الفكر المعاصر قضايا وأعلام، بحث الجندر، نشرة خاصة بطلبة الدراسات العليا، (دمشق: جامعة دمشق، 2018م) ص 128-135.

(17) انظر صلاح كفتارو، رد من صلاح الدين كفتارو على تحقيق القبيسيات، 2006م.

<https://www.voltairenet.org/article139528.html>

(18) انظر محمد حبش، «القبيسيات الملف المجهول»، كلنا شركاء، 2014/06/09.

<https://mohammadhabash.org>

(19) انظر: صلاح كفتارو، مرجع سابق.

القاصرة والخاطئة.

د. إن انفصالها عن جماعة المفتي كفتارو يعد ضرباً من العبقرية؛ إذ لا تريد أن تحمله نتائج ما قامت به⁽²⁰⁾؛ فهي المسؤولة أولاً وآخرًا.

وقدمت إحدى المعلمات تفسيرًا منطقيًا _ له حظٌ من النظر _ يتعلق بطبيعة العلاقة بين المريد والشيخ؛ إذ من لوازمها أن تجلس الطالبة بين يدي أنستها؛ لبناء رابطة متينة تمهيدًا للبوح بأسرارها ومشكلاتها، ثم تنمو هذه الصلة رويدًا رويدًا لتغدو ضربًا من الهيام بالأنسة، وهذا العشق هو الذي يدفع المريدة لطاعة الله تعالى بطاعة المعلمة، وهذا أمر لا يمكن أن يتحقق لو كانت التلمذة على يد رجل ذكر، لأن تربيته لها ساعتئذ ستكون قاصرة ناقصة⁽²¹⁾.

وقد ظلت منيرة وفية للشيخ كفتارو حتى وفاته؛ إذ طلبت من أهله أن تختلي بجثمانه في مستشفى دار الشفاء عام (2004م)، وبقيت بجواره باكيةً نحو ساعتين.

وبذلك يظهر أنها ليست واعظة تقليدية، وإنما تتصف بصفات أهلها لتحقيق مشروعها الدعوي منها:

1. ذكاؤها وشخصيتها "الكارزمية"، وقد تجلى ذلك في الأثر الذي تركته؛ إذ اكتمل البناء الهرمي للجماعة في حياتها ووضعت لبناته الأخيرة على نحو لا يزال حتى الآن غير قابل للتطوير والزيادة.

2. الضبط الإداري وحسن توظيف الطاقات البشرية⁽²²⁾.

3. قدرتها الكبيرة في التواصل مع الاتجاهات الدينية كافة؛ مع ما بين بعضها من تنافر مستور وسافر؛ إذ حظيت بتأييد معظم أقطاب تلك الجماعات كزيد والكفتارية على ما بينهما من فوارق جوهرية.

4. الحدث الأهم في نظري تكوينها المعرفي؛ إذ أخذت من عدة مدارس «روحية» و«فكرية» و«دعوية» و«حركية» أهمها: أحمد كفتارو، وكلية الشريعة، وجماعة زيد⁽²³⁾، وسنفصل في ذلك لاحقًا.

5. تمتاز بقدرتها على الوصول إلى بيوت معظم الشخصيات الدينية؛ إذ من الصعب جدا أن تجد زوجة شيخ بارز لا صلة لها بها، وهذا ما أكده الشيخ عبد الله دك الباب مدير معهد الأمانة في كتابه "ازدواجية المعايير"، ولهذا الأمر أهميته البالغة؛ ذلك أن قرارات بعض الرجال قد تتخذ تحت تأثير زوجاتهم.

6. اختيار البيئة المناسبة لنمو الجماعة وتمدها، ولهذا لم يلاحظ انتشارها في حلب؛ التي تعد من أهم

(20) انظر: عمر عمادي، مرجع سابق.

(21) مقابلة، س، 2020.

(22) انظر محمد حبش، مرجع سابق.

(23) راما الجمرقاني، «نساء سوريات يعملن في الظل»، 2009م.

المدن السورية بعد العاصمة دمشق كونها محافظة مغلقة لا يمكن أن تقبل دعوةً وافدة من خارجها، وهكذا زهدن بها تخوفًا من حدوث صدام مع تيارات إسلامية أكثر انغلاقًا وتعصبًا، وهذا بطبيعة الحال يعارض سياستهن القائمة على فكرة التقرب من الاتجاهات جميعها؛ اتقاء لنقدها ورغبة في الإفادة من إيجابياتها.

7. ابتعادها عن الظهور الإعلامي حتى لا تصنف، وبذلك تضمن فرصة أكبر لقبول أفكار الجماعة وانتشارها عالمياً⁽²⁴⁾.

كما أن عزوفها عن الزواج مكنها التفرغ لاستثمار جهدها ووقتها في خدمة مشروعها الدعوي.

ثانيًا: الهيكل التنظيمي والمظهر العام

يتوزع هيكل الجماعة على النحو الآتي:

1. "طبقة أولى" تسمى الحجات، ترتدي الحجاب الأسود، ومهمتها إدارة الجماعة، ووضع خططها والإشراف على تنفيذها، فهن المرجع الأعلى، وتحتاج إحداهن لبلوغ تلك المرتبة إلى شخصية قوية مؤثرة، ومرحلة زمنية، وتزكيات خاصة، ونشاط كبير، وولاء مطلق للجماعة.

2. ثم "الآنسات"، وهن المنفذات لبرامج الجماعة التعليمية والدعوية، والمسؤولات عن الوصول إلى الشرائح المستهدفة؛ يتميزن بألوان حجابهن -الذي يربط بطريقة معينة يشبه ربطة العنق عند الرجال- من الأزرق السماوي إلى الكحلي الغامق بحسب درجتهم في الجماعة.

ويلاحظ أن بعض النساء قد ترتدي الحجاب الأزرق الغامق تعبيرًا عن قناعتها بفكرهن، وتعاطفًا معهن من غير انتساب حقيقي لهن⁽²⁵⁾، كخلود السروجي المقربة من النظام حيث صنفت من الجماعة بسبب ارتداء لباسهن.

3. ثم "المريدات"، وهن قاعدة عمل الجماعة، يتوزعن على حلقات، وكل حلقة تتبع لأنسة تجتمع بتلميذاتها دوريًا وفق مناهج خاصة يقررها مجلس الإدارة، والتلميذة قد تصبح أنسة في حلقة أخرى ووقت آخر، لكن على فئة عمرية أصغر منها بشرط موافقة أنستها، وهكذا ينتقلن من حلقة إلى أخرى بعد تحقيق شروط معينة⁽²⁶⁾.

ومن الشروط الواجب توافرها لتصبح المريدة مقربة من "الآنسة" ومشرفة على إحدى الحلقات هي ولاؤها المطلق للجماعة، وأقدميتها في الانتساب لهن، وتمكنها في حفظ القرآن الكريم وتجويده، مع إلمام مقبول بالعلوم الشرعية، ولا بد أن تخضع لدراسة دقيقة حول حالتها العائلية وعلاقتها الشخصية، فمن كانت من أسرة تضم رمزًا سياسيًا أو عضوًا منتميًا لجماعة لا ترضى عنها الدولة يصعب جدا تقربها، ولا بد أن تمتلك قدرة التأثير في

(24) ناصر الزين، «القُبَيْسيات وإثارة الجدل... دراسة عن السلطة والدين»، 2014م.

<https://www.zamanalwsl.net/news/article/49879>

(25) انظر: عمر عمادي: (مقالة سابقة).

(26) انظر: ليلي الرفاعي، القُبَيْسيات تنظيم نسوي مقالة نشرت في 7/5/2017م

<https://www.aljazeera.net/midan/intellect/groups>.

المريدات وإقناع غيرهن بالانتساب للجماعة⁽²⁷⁾.

ومن محظورات اللباس: تغطية الوجه كاملاً، ويستثنى البيئات التي تلتزم نساؤها بذلك، ويستبدلن بالعباءة (المانطو) الذي يصل إلى نصف الساق أو أدنى قليلاً، وهو على هذا النحو لا يكون موافقاً لشروط اللباس الشرعي، تقول إحدى المعلمات: «سمعت من أنستي المباشرة - ولها مكانتها الكبيرة في الجماعة - أن سبب تقصيره رؤية الحجة منيرة النبي صلى الله عليه وسلم في المنام؛ فأشار بيده إلى تقصير (المانطو) شبراً فوق الأرض⁽²⁸⁾، ويلبسن تحته «التنورة المكسرة» وجوباً؛ ويمنعن لبس (البنطال) مهما كانت صفته أمام محارم البنات أو صديقاتها، وأما (القمطة) - وهي قطعة قماش تجمع بها المرأة شعرها - فيجب لبسها من باب الأدب أمام محارم البيت، أو النساء في الجلسات الخاصة، أو سكن الطالبات، إلا عند الوضوء أو إعادة ترتيب الحجاب، ولا يستحسن نزعهما حتى لو كانت المرأة وحدها بوصفها لباساً شرعياً يكمل ستر المرأة أو بعبارة أخرى إنها من «لباس التقوى» المذكور في القرآن الكريم⁽²⁹⁾، فالملائكة - بحسب فناعة الجماعة - لا تحضر إلا بوجود ثلاثة أشياء «الستر» و«الطهر» و«العطر»⁽³⁰⁾، ويمنع أيضاً ارتداء ثياب قصيرة الأكماء حتى في المنزل، وقد ثارت بعض المشكلات لدى المتزوجات ممن مع أزواجهن بسبب قيود اللباس؛ فاستثنين من تطبيق بعض هذا التعليمات⁽³¹⁾.

ثالثاً: النشاطات الدعوية

إن أساس فكرة الدعوة لديهن تقوم على بناء صلة سليمة بالله - عز وجل - ولا يتحقق ذلك في نظرهن إلا من خلال الانتماء للجماعة والولاء المطلق لها، ومن ثم قطع أي صلة بغيرها، ولا بد أن يسبق أي نشاط دعوي تهيئة نفسية للذات قبل مخاطبة الآخر ودعوته، ومن هنا يحرصن كل الحرص على أداء الشعائر والتهجد وملازمة الأوراد والأذكار كدعاء الرابطة⁽³²⁾ (وهو من مأثورات حسن البنات)، والصلاة النارية⁽³³⁾ (التي غدت علماً على جماعة زيد)، فضلاً على ورد الرابطة النقشبندية الذي يقوم على ذكر الله بالاسم المفرد وإغماض العينين واستحضار صورة الشيخ، وتقام لبعض الأوراد عند تسليمها للمريدات مراسم احتفالية خاصة بعد تجاوزهن

(27) انظر مقالة: القُيُسيات.. النُشأة والتكوين (نشرت بدون اسم الكاتب).

(28) مقابلة، س، 2020.

(29) وهو قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: 26]

(30) مقابلة، س، 2020.

تقول إحدى الأخوات: يعدّ الطيب (العطر) مطلباً أثناء جلسات الذكر؛ لأن الملائكة تحبه، فقد كانت تأتي الأنسة وبعض المريدات للمجلس ورائحته تفوح منهنّ، وفي المجلس يضعنه أيضاً، وإن تعلت واحدة مثلاً بأنها لا تريد أن تتطيب؛ حتى لا تقع في الإثم عند الخروج، يقال لها: إن كانت الأنسة تفعل ذلك فمن أنت حتى ترفضي، أو لا تقلقي؛ رائحته خفيفة جداً ولن يدوم طويلاً، مع أن الطيب المستخدم عادة زيتي (أو ما يسمى عطر المشايخ)، وهذا النوع تبقى رائحته، وكان أهلي يجهوني كثيراً إلى الرائحة عند دخول البيت مع أنني كنت أضع شيئاً يسيراً، ثم أحاول مسحه مباشرة بمحزمة (مقابلة: س، 2020م)، وهذا الأمر لا ينطبق على الجميع؛ بل كثير منهن لا ترتضيه.

(31) انظر محمد خير موسى، ص 44.

(32) صيغتها: «اللهم إنك تعلم أن هذه القلوب قد اجتمعت على محبتك، والتقت على طاعتك، وتوحدت على دعوتك، وتعاهدت على نصرة شريعتك، فوثق اللهم رابطتها وأدم ودها واهدها سُبلها وأملأها بنورك الذي لا يخبو، واشرح صدورها بفيض الإيمان بك، وجميل التوكل عليك، وأحياها بمعرفتك، وأمها على الشهادة في سبيلك، إنك نعم المولى ونعم النصير، اللهم آمين وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم».

(33) صيغتها: «اللهم صل صلاةً كاملةً، وسلم سلاماً تاماً على سيدنا محمد، الذي تنحلُّ به العقد وتنفرجُ به الكرب، وتُقضى به الحوائجُ، وتُنالُ به الرغائب وحسن الخواتيم، وتُستسقى الغمام بوجهه الكريم، وعلى آله وصحبه وسلم».

المستوى المعين⁽³⁴⁾.

وكن بعيدات عن السياسة بحسب الظاهر سوى "الدعاء للرئيس بشار الأسد" الذي يلزم به الدعاة كافة، ولديهن دروس أسبوعية عامة للنساء، تبدأ بذكر الله تعالى والصلاة على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم يشرن بدرسهن التخصصي في الفقه، أو التفسير أو السيرة، أو تراجم الرجال، يتخلل ذلك جملة من المواعظ والنصائح، ثم تختتم الجلسة كما بدأت بالدعاء والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وأحياناً يصاحب تلك الجلسات إنشاد ديني وضرب على الدف.

ولهن حلقات خاصة لحفظ القرآن والإجازة فيه مع تطبيق برنامج منظم تخضع له المريدة حتى تنهي الحفظ، ويحدد لهن دراسة كتب خاصة -وسنخصص لها مبحثاً مستقلاً- وتمنع الطالبات من سماع الغناء، وحضور الأعراس غير الدينية، والاختلاط بالشباب، ويقمن حفلات خاصة لتشجيع المريدات على التزام لباس معين مع تركيز بعضهن على رسم صورة مشوهة لغير المحجبات ونبذهن، ويلاحظ ههنا أمور منها:

1. شدة ولائهن للجماعة والانغلاق عليها، وقد ذكرت الأستاذة سهير أومري أنه كان يقال لها عندما كانت لا تزال معهن: "يشم منك رائحة الجماعات الأخرى"، وتعقبها بعض القيسيات بأن حديثها عن الجماعة بعد مفارقتها لها يحمل في طياته كثيرٌ من التحامل وعدم الإنصاف.

2. أن تشبيه دعوة القيسيات بجماعة الدعوة والتبليغ من حيث التركيز على الرقائق والأذكار والعبادات والبعد عن السياسة لا يستقيم، فالقيسيات أكثر تنظيمًا واهتمامًا بالقرآن الكريم حفظاً وتجويداً، كما لهن عناية أكبر بالتأصيل العلمي والفقهية، فضلاً عن نخوية الجماعة وانحصارها في نطاق أضيق، بينما الثانية كما قيل دعوة الدراويش.

ويلاحظ أنه في المرحلة الأخيرة بعد أن فرضت عليهن وزارة الأوقاف منهاجاً خاصاً لتدريبهن في الحلقات المسجدية يتضمن: «دورات» عامة؛ لتحفيظ القرآن الكريم تفرز بحسب العمر والمستوى، و«دروساً» متاحة للجميع، تلقىها أنسة قوية الشخصية تمتلك مهارةً كبيرة في جذب المريدات واستقطابهن؛ فتختار عددًا معينًا ممن التمسست فيهن فطنة ومواظبة على اللقاء؛ لحضور درسٍ أعلى من مستوى درس العوام، وهكذا يتم التصفية مع التركيز على التزكية أو ما يسمى بـ«العلاقة الروحية»؛ فتلبس لباسهن وتطبع أوامرهن وتتنسب لجماعتهن، وساعتئذ تلتزم بمقرراتهن الخاصة ودروسهن وتعليماتهن.

ومن الملاحظات التي لا ينبغي إغفالها في هذا المقام أن نسبةً _ ليست قليلة _ من المعلمات لسن مؤهلات للتدريس، فقد تدرس كتاباً في الفقه لم تقرأ غيره، ويظهر ضعفها جلياً خلال الدرس، فقد تبلغ طالباتها أحكاماً خاطئة، ولا تملك شجاعة التراجع عن خطئها حتى لا تهتز صورتها أمام مريداتها بوصفها محيطة بكل شيء.

رابعاً: طبيعة العلاقة بين المعلمة والمتعلمة

ورثت المؤسسة منيرة من الشيخ كفتارو اتجاهاً صوفياً نقشبندياً، ولهذه الطريقة حضورها الواسع في نمط

(34) انظر محمد خير موسى: القُيسيات الجذور الفكرية والموافق السلوكية»، ط1 (إستنبول، كتاب سراي، 2020م)، ص 60، 61.

التدين الشامي، وقد أفادت الأنسات من هذا الموروث الثري منذ بواكير انطلاق دعوتهن في فرض سلطة روحية مطلقة على الطالبات؛ فالأنسة ليست شخصاً عادياً تربطه بغيره علاقة هامشية؛ بل رتبة علمية كبيرة وسلطة روحية مطلقة، فهي -كما قالت إحداهن وهو أمر استنتاجي وأخذ باللازم- تصيب ولا تخطئ وتطاع فلا تعصى وتأمر وتنهى، وهي ملاذ الأمان ومستودع الأسرار وكنز الحقيقة، طاعتها من طاعة الله تعالى وغضبها من غضبه، وتقول معلمة أخرى: «وصلت إلى حال لو أمرتني الأنسة أن ألقى بنفسي من (شرفة) المنزل لما ترددت لحظة واحدة؛ اعتقاداً بوجود طاعتها وثقةً بأن ملاكاً سيتدخل في الوقت المناسب ويسيطر كفيه لينقذني من الموت»⁽³⁵⁾.

وقد رخصت بعض المعلمات للمقربات من الطالبات بالكذب لمصلحة الدعوة، ولجأت أخريات لاستخدام بعض المقربات وسيلة تجسس على زميلاتهن؛ فتظهر المعلمة ساعتئذ وكأنها تعلم الغيب ومن أهل الكشف والولاية، وهذه الوسيلة يزداد نفوذها وهيمنتها وتزداد التلميذات خضوعاً لها واستسلاماً، ويلاحظ أن كثيراً من الطالبات يكذبن هذه الأمور؛ لأن من يقوم بها قلة مقربة، فالطالبة الجديدة أو التي يشك في ولائها تبقى علاقتها هامشية جداً مع الأنسة وقاصرة على اللقاء في مجالس العلم، وعموماً كلما زاد ولاء المريدة للأنسة؛ زاد التحكم بها والاستئثار، مع محاولة توظيفها لمصالحها واستخدامها.

وتلجأ بعض الأنسات إلى القسوة بوصفها علاجاً مهماً؛ لتقويم اعوجاج البنت، وجعلها أكثر قابلية للاستقامة، وهذه الطريقة تركت أثراً سلبياً في علاقة البنت مع محيطها الاجتماعي.

ومن آثار تلك العلاقة أن المريديات لم يجدن حرجاً في تدخل الأنسة في خصوصياتهن؛ بل في أدق تفاصيل حياتهن؛ إذ يفرض على الطالبة إعلام الأنسة بكل شيء حتى خواطر النفس وأحلام النوم وأمنيات المستقبل وذنوب الخلوات؛ تأخذ رأيها بطريقة قص الشعر وانتقاء صديقة الحي وزميلة الجامعة، وفرع الدراسة ومكان الوظيفة، وخصوصيات البيت ولا سيما المتزوجات منهن، فلا تستطيع إحداهن حضور مجلس أو إلقاء محاضرة أو نشر مقالة إلا بموافقة الطبقة العليا⁽³⁶⁾، ومن غضبت عليها الأنسة فهو غضب إلهي، فتراها نادمة أشد الندم، باكية مستغفرة تعيش حالة مضطربة من الكآبة بحثاً عن حل يرضي الأنسة وسط شفقة صديقاتها ولومهن، وهذه الوساطة الربانية جعلت الفتيات يعترفن للأنسات طواعية بذنوبهن، مهما بلغت، وهي حالة أشبه ما تكون بكرسي الاعتراف الكنسي، لأن الأنسة بحكم اطلاعها على السرائر تعلم ما أخفته عنها أو بعبارة درجت على ألسنة بعض الأنسات أنها تشتم معاصيهم شتماً، أو تبصرها على وجنات الوجه، وفي فلتات اللسان، كما تعرف المعلمة، من خلال هذه السلطة الغيبية، مقدار تمسك الطالبة بمبادئ الجماعة، أو انحرافها، أو قصورها وتقصيرها، وهكذا ترسخ في ذهن المريديات امتلاك المعلمة قدرة روحية كبيرة مصدرها معرفة الغيب، ومن غريب ما يحصل في هذا السياق أنه قبيل الامتحانات تلجأ المريديات للمعلمة كي تطلعهن على الأسئلة؛ حيث تمسك المعلمة الكتاب، وتتمتم ببعض الآيات لتفتحه بعد ذلك، وتحدد المقطع المهم، ويتكرر ذلك مرات عدة، فإن جاء سؤال أو أكثر من تلك المواضع نسبين الفضل للمعلمة، وأشعن ذلك عنها.

ولعل أخطر ما في هذه العلاقة أن أي قصور من جانب الأنسة تتحمل وزره الطالبات نتيجة معاصيهم وغفلتهم، فتغدو عصمة المعلمة واتهام المتعلمة قاعدة تحكم جدلية العلاقة بين طرفين: مقدس ومدنس، تقول

(35) مقابلات، 2020.

(36) انظر ليلي الرفاعي، «القيسيات تنظيم نسوي»، شبكة الجزيرة.

إحدى المعلمات: «عندما تتأخر الأنسة الكبيرة عن موعد درسها أو يحصل طارئ يحول دون الحضور، أو تتلصق في قراءتها يتجه التفرغ للمريدات والتأنيب؛ إذ معاصمهن هي التي حرمتهم من نعمة رؤية الأنسة وبركمتها والتمتع بصوتها؛ ثم يطلب منهن أن يستغفرن مع إظهار شدة الندم والنحيب⁽³⁷⁾، كما أن بعض المعلمات لديهن وسوسة في الطهارة، فبدلاً من معالجة نفسها؛ فإنها تورث هذه الحالة المرضية إلى بعض مريداتها.

ومما ينبغي ذكره في هذا السياق أن الثورة السورية قد أحدثت زلزالاً كبيراً من خلال الأثر العميق الذي تركته في نفوس كثير من أفراد الجماعة، وبدأن يتساءلن عن صحة هذا الطريق الذي يسلكنه، وعن حقيقة عصمة الأنسة، وإلى أي حد يجب طاعتها في ما تأمر وتنهى، وعن سبب التحول من الحياء إلى مساندة النظام مع وضوح الأمر، وقد أدت تلك التساؤلات إلى انشقاق فعلي ممن تستطيع أو قلبي ممن تعجز.

خامساً: أهم الشخصيات والمؤلفات

أ. الشخصيات

هناك شخصيات نسائية عدة تشكل العمود الفقري للجماعة، ومن أهمها: خيرية جحا فهي تلي الشبيخة منيرة في رتبها الروحية ومنزلتها، وتعد أكثرهن حظاً في خلافتها، ودرية العبيطة، ومنى قويدر، وفائزة الطباع، ورجاء تسابحي، ونبيلة الكزبري، وفاطمة الخباز، ولا يفوتنا أن نذكر شخصية محورية، وهي أميرة جبريل التي لها حضور كبير وتأثير في انتشار الجماعة في لبنان أولاً ثم الكويت⁽³⁸⁾، ومن حمص: وفاء حمدون وأميرة أبو زيد، وستأتي الإشارة إليهما لاحقاً.

ويلاحظ أنه قد يطلق اسم حركي على بعض آنسات الصف الأول، أو أي أنسة أخرى حتى إن كثيراً من المريدات لا يعرفن اسمها الحقيقي.

ب. المؤلفات

هناك جملة من الكتب التي يدرسها ويتدارسها: ففي مجالس الذكر والإنشاد كتاب يسمى "مزامير داود"، لم يوضع عليه اسم كاتبه ولا دار نشره، ويرجح أنه لفق من مصادر شتى وأضيف إليه بعض الجمل والعبارات كقولهن: "شيختنا معنا أينما كنا لا تضيعنا"، وكتاب "المتاح من الموالد والأناشيد الملاح" تنقل فيه صاحبته عبارات من "مزامير داود"، ولبعض معلمات الجماعة كتاب: "مجلس النور في الصلاة على الرسول" كما يقرأن كتاب "دلائل الخيرات".

وفي السيرة النبوية: "فقه السيرة" للبوطي، و"الجامع في السيرة النبوية" لسامية الزايد الذي قدم لطبعته الأولى الدكتور البوطي عام (1994م)، ثم اختصرته صاحبتة في كتاب سمته: "مختصر الجامع"، وفي أصول الدين: "عقيدة التوحيد من الكتاب والسنة" للأنسة سعاد ميبر، و"جوهرة التوحيد"، وهو المتن التقليدي لدى متأخري المذهب الأشعري، و"كبرى اليقينييات الكونية" للشيوخ البوطي، و"العقيدة" لعبد الرحمن حبنكة الميداني.

(37) مقابلة، س، 2020.

(38) انظر: ناصر الزين، «القُبَيْسيات وإثارة الجدل... دراسة عن السُلطة والدين»، 2014م. <https://www.zamanalwsl.net/news/article/49879>

وأما في الفقه: فتحت مسمى "فقه العبادات" وضعن كتاباً لكل مذهب، فعلى المذهب الشافعي لدرية العيطة، وعلى الحنفي لنجاح الحلبي، وعلى الحنبلي لسعاد زرزور، وعلى المالكي لكوكب عبيد، وفي التراجم والرقائق: "نجوم في فلك الدعوة" لأسماء الطباع، و"نساء حول الرسول" و"رجال حول الرسول" لخالد محمد خالد، وفي مجالسهن الخاصة أو خارج سورية يتدارسن "رجال الفكر والدعوة" للندوي. وهو محظور في سورية؛ لأنه يتحدث فيه عن بعض الشخصيات المحظورة كابن تيمية وحسن البنا، إلا الجزء الأخير منه فقد كان مقرراً عليهم في مساجد جماعة زيد، كما يرشدن طالباتهن المقربات لقراءة كتب السيد قطب والقرضاوي والغزالي، وفي التفسير مختصر الصابوني لتفسير ابن كثير⁽³⁹⁾.

وللجماعة منهج في «انتقاء» الكتب و«تصنيفها» وتحديد «مستوياتها» ليلائم الطالبات؛ فلا يدرس الفقه قبل العقيدة، ولا الحفظ قبل التجويد، وعموماً تصنف على النحو الآتي: أولها _ مدرسة الإسلام، وثانها _ مدرسة الإيمان، وثالثها _ مدرسة الإحسان، وهذه المرحلة خاصة بالداعيات اللاتي قطعن شوطاً بعيداً في خدمة الجماعة وصار لهن مكانة ومريدات، ومن الكتب التي تدرس فيها «المعين في الوعظ والإرشاد» للحاجة حسناء صلاحي الأصبحي كان يتناقل سرّاً ثم طبع، وكتاباً تاريخ وجغرافية العالم الإسلامي، وهما عبارة عن مذكرات لإحدى أنسات الجماعة يطبع بلا اسم، وآخر مواد هذه المرحلة (التزكية) لتطهير النفس من ذنوب الخلوات، لم يكن لها كتاب معين وإنما كانت تمليه أنسة كبيرة، وفي هذه المرحلة تكثُر الطالبات من الذكر على الطريقة النقشبندية (الذكر الخفي) ويكون بتكرار اسم الله تعالى سرّاً مع حبس الهواء وإخراجه على دفعات، وبانتهاء هذه المرحلة تصبح الدارسة حجة، ويلاحظ أن عدد من وصل إلى هذه الدرجة قليلٌ جداً؛ إذا قورن بعدد الجماعة⁽⁴⁰⁾.

وأي كتاب يصدر عن إحداهن لا بد أن تفحصه الأنسات الكبار بدقة كبيرة، ولا يشترط أن يكتب على كل كتاب اسم صاحبه الحقيقية، فربما تكتب حجة كبيرة كتاباً ثم ينسب لأنسة صغيرة كونها مجازة في الشريعة أو لأمر آخر.

ويلاحظ أنه بعد انتشارهن في المساجد، فرضت عليهن وزارة الأوقاف دراسة «المنهج الموحد»، وبعد الانتهاء من تدريس المقررات المعتمدة من الوزارة أو الجماعة تقوم الأنسات بامتحان الطالبات بمحتواهن، ويعد تجاوز الامتحان شرطاً من شروط الانتقال إلى المستوى الأعلى.

المطلب الثاني: القبيسيات والسياسة

نتناول في هذا المطلب المراحل التي مرت بها الجماعة في طبيعة العلاقة بينها وبين السلطة:

أولاً: الدعوة البيتية السرية من أوائل سبعينيات القرن الماضي حتى 2006م

تبدأ مع بواكير نشأة الجماعة، من أواخر ستينيات القرن الماضي حيث اتخذت منيرة القبيسي بيوت أنصارها

(39) قارن أيضاً: محمد خير موسى، «القبيسيات الجذور الفكرية والموافق السلوكية»، ط1 (استنبول/ الفاتح: كتاب سراي، 2020م). ص 58-59

(40) مقابلة، س، 2020.

المقربات مكاناً لممارسة عملها الدعوي، وكانت أحوال سورية آنذاك تسمح بهذا اللون من النشاط؛ ذلك أن الصدام مع السلطة لم يكن قد بدأ، ومع بداية أحداث الإخوان المسلمين في أواخر السبعينيات توقف نشاطهن تمامًا خوفًا من بطش النظام وملاحقته؛ إذ كان الجميع متهمًا حينذاك، وليس الإخوان فحسب، وبعد أن استقر الأمر للنظام، واجتث حركة الإخوان، سمح لبعض رجال الدين المقربين منه ممن ضمن ولائهم، كما أسلفنا، بنشاط دعوي في أشهر مساجد دمشق، من مثل أحمد كفتارو والبوطي وآل فرفور، وفي الوقت نفسه سمح للقبائليات -ملء الفراغ أولًا، ولتحسين صورته ثانيًا- بالعمل سرًا في البيوت تحت رقابته وهو مطمئن تمام الاطمئنان بأن هذا الاتجاه الذي يمثل امتدادًا للجماعات التقليدية التي عزلت نفسها عن السياسة واستبعدت من أدبياتها فكرة الخروج على الحاكم مهما فعل⁽⁴¹⁾، لا يمكن أن تشكل خطرًا عليه، فضلًا على أن هذه الجماعة التي تضم في صفوفها الأولى نساءً مقربات من مسؤولي النظام، ومن حلفائه التجار لن تحيد عن المسار المرسوم، وهكذا وجد النظام أن هذه الدعوة السرية ستمكنه من اختراق الأسر النخبوية والوقوف على اتجاهاتها وعلاقتها وأحوالها، وستستقطب النساء اللواتي لهن موقف سلبي منه؛ إذ إن سرية الدعوة تعني ضمناً موقفًا مناهضًا للسلطة.

ومن مميزات هذه المرحلة والملاحظات عليها:

1. لا يمكن أن نتحدث -على وجه اليقين- عن صلة ظاهرة لهن بالسلطة، لأن الجماعة كانت تعمل سرا، أو بعبارة أدق سمح لها أن تعمل بهذه الطريقة غير المعلنة، لأنه يستبعد أن يبقى أي عمل دعوي سرا -ولو صغرا- في بلد تحكمه الأجهزة الأمنية، فضلًا عن أن بعض معلمات الصف الأول تربطن ببعض السياسيين وشائج قريية كأميرة جبريل وغيرها.
2. ادعاء الجماعة النأي بالنفس والتبرؤ من أي مشروع إسلامي سياسي حرصًا على استمرار النشاط الدعوي واستقراره، مع أنه لا يمكن تنمية المرأة وتوعيتها إلا بتمكينها من المشاركة السياسية الفاعلة، وفي هذا السياق يذكر أن منيرة القبسي رفضت عام (2006م) ترشح إحدى القبائليات لمجلس الشعب؛ كي لا يتهمن بممارسة العمل السياسي⁽⁴²⁾، وبهذا أصبح الاهتمام قاصرًا على الحيز الفردي والروحانيات مع إهمال كبير للشأن العام⁽⁴³⁾، وقد ردت الجماعة -على لسان أحد معلماتها- بأننا لسنا ملزمين بتبني مشروع سياسي تنكرت له الجماعات الأخرى، ولكل جماعة أن تختار ما يناسبها، وما تستطيع التمييز فيه، وتحمل نتائجها⁽⁴⁴⁾.
3. هذه المرحلة السرية بمفهومها كانت ترعاها فئتان ظاهرتان: أولاهما تجار دمشق بتقديم الدعم المادي لاستمرار النشاطات وزيادتها، وثانيهما تزكية بعض المشايخ لهن، وهذا عامل مهم في كسب ثقة الناس.

(41) Religious7-9-2019 Feminism, from Sufism to Ideologization Qubaisyats is an example <http://mena-studies.org/>

وانظر محمد حبش، القُبَيْسيّات الملفّ المجهول.

(42) انظر: هوازن خداج، مرجع سابق.

(43) شاهد: مركز جسور، جماعة القُبَيْسيّات النشأة والتكوين.

(44) مقابلة، ع، 2020.

4. ومن مقتضيات هذه السرية منع التصوير والتسجيل في تلك اللقاءات حتى لا يخرج شيء من نشاطهن إلى العلن، وبعد انتشار الهواتف المحمولة حظر إدخالها إلى مكان الاجتماع مع ضرورة تذكير الأنسات للمريدات بأن المجلس بالأمانة وأن إفشاء السر جريمة، وأن كل شخص خارجهن يعد في حكم الغريب والعامي وإن أظهرن احترامًا له وتقديرًا، ومن هنا لا يجوز أن يطلع أحد - حتى الوالد والزوج - على ما تقررره الجماعة إلا بمقدار الضرورة، ويستشهدن بقول لا يصح نسبه للنبي صلى الله عليه وسلم: «حدثتك - والخطاب لعي - حديث العقلاء فحدثت به الجهلاء».

5. وتأكيدًا لذلك تأتي «القطعة» والتي تعني توقف اللقاءات والنشاطات احتياطا عند وقوع أي حدث أمني كي لا تتهم الجماعة أو يضيع عليها، والمخول باتخاذ هذا القرار رأس الهرم من أنسات الصف الأول، والمشافهة هي الطريقة المفضلة لهن في إبلاغ المريدات بالانتقال من بيت إلى آخر⁽⁴⁵⁾؛ وأما استخدام الهاتف فلا يكون إلا عند الضرورة وبطريقة مشفرة؛ كأن تقول إحداهن: أمة ستسافر شهرين (المراد أن الدروس ستوقف تلك المدة أو نحوها)، أو اذهبي مساء غدٍ إلى فلانة من أجل محاضرات مادة العلوم (أي هناك درس مع الأنسة في الموعد المذكور) ونحو ذلك⁽⁴⁶⁾.

6. ومما يذكر أيضا في هذه المرحلة استجزار بعض الأنسات والطالبات للتحقيق معهن بين الحين والحين؛ للتذكير بأنهن جميعًا ونشاطهن السري تحت المراقبة الدائمة.

ثانياً: من البيت إلى المسجد (2006م - 2012م)

بعد تولي بشار الأسد السلطة كان لوزير الأوقاف محمد زياد الأيوبي الذي -يعد نفسه مريداً لكفتارو- الفضل الأكبر مع بعض المشايخ المقربين من مثل الشيخ البوطي بإقناع السلطات بالسماح للقبائسيات بممارسة دعوتهم في المساجد⁽⁴⁷⁾ بوصفهن وطنيات مخلصات ولا صلة لهن بالسياسة بأي حال، وافق النظام على ذلك ثم أولاهن اهتماماً خاصاً لأسباب عدة منها: أنه لم يحظ بشعبية كتلك التي نالها والده بعد حرب تشرين عام (1973م) التي جعلت منه بطلاً قومياً، مع أن نتائج الحرب كانت في صالح إسرائيل؛ إذ أول مرة في تاريخ الصراعات يفرض المغلوب شروطه على الغالب؛ حيث أخليت المنطقة من الوجود العسكري السوري؛ لتوضع تحت وصاية الأمم المتحدة حتى إن أبناء المنطقة كانوا لا يستطيعون زيارتها إلا بموافقة رسمية من الأجهزة الأمنية، فوظف الأسد الأب إنجازات وهمية في ظل غياب الوعي المجتمعي المطلوب.

أما الأسد الابن الذي اغتصب السلطة مع افتقاره إلى مقومات القيادة، فقد وجد نفسه في ظل ظروف المنطقة المتقلبة، وتنامي وعي الشعب السوري وجد نفسه مضطراً للاستناد إلى عكاك شرعي في مقابل العكاك الأمني؛

(45) انظر محمد خير موسى، مرجع سابق، ص 48، 49.

(46) مقابلة، س، 2020.

(47) انظر: عمر عمادي، علمانية تنظيمياً: الحركات الإسلامية الدمشقية والثورة السورية، حمزة عامر (مترجمًا)، (د.م: معهد العالم للدراسات، 2020م)

فاقترب من الجماعات الإسلامية، لكن وعلى غير المتوقع فقد همش «الكفتارية» حلفاء الأُمس كما تراجعته صلته بالبوطي لصالح الجماعات التي أدار والده ظهره لها، وهم:

1. جماعة الشيخ حسن حبنكة: إذ خص الدكتور مصطفى ديب البغا، وهو من تلامذة الشيخ بعدة زيارات بيتية ومسجدية؛ توجها بتعيين نجله الدكتور محمد الحسن عميداً لكلية الشريعة خلعاً للدكتور محمد فاروق العكام الذي بقي في العمادة نحو (18) سنة.

2. جماعة زيد: تساهل معها النظام في مرحلة الأحداث بسبب شعبيتها الكبيرة، وأملاً في تدجينها كسائر الجماعات الأخرى، فلم يستأصل كوادرها على الرغم من تأييد بعض أفرادها لجماعة الإخوان وقتالهم معهم، لكنه لم ينجح إلا في استقطاب قلة غير مؤثرة أثرت السلامة على حساب دينها، وساعتئذ اضطر بعض كبار مشايخها للخروج من البلد إلى أن عادوا في منتصف التسعينات، فاستأنفت الجماعة نشاطها الدعوي من جديد وكسبت شعبية كبيرة وأنصاراً، وفي وقت ضئيل نسبياً استعادت نشاطها في أربعة مساجد كبيرة: زيد، وعبد الكريم الرفاعي، والإيمان، والحمزة والعباس، ثم تمكنت تأسيس بعض المشروعات الخيرية بشقها الإغاثي والطبي، فضلاً على الثانوية الشرعية، والقناة الفضائية التي أغلقت بعد وقت قصير من افتتاحها⁽⁴⁸⁾.

وفي هذا المضمار سعى النظام لتوظيف الدعوة النسائية مستفيداً من النفوذ الكبير للمرأة الشامية وشخصيتها القوية، فكان مضطراً لزيادة نشاطهن وتأثيرهن، فأذن بنقل دعوتهم من السر إلى العلن. وتقول في ذلك سلمى عياش معاون وزير الأوقاف في عهد بشار الأسد: "نقل العمل الديني النسائي من البيوت حيث الظلام والضبابية، إلى المساجد حيث النور والضبط"⁽⁴⁹⁾، فغدت مساجد دمشق تحت سيطرتهم نتيجة تسهيلات كبيرة في منح الموافقات الأمنية حيث تحصل إحداهن على رخصة من وزارة الأوقاف ثم تدخل معها بقية الأنسات بوصفهن مساعدات لها، ثم مع الوقت وجد نوعان من الرخص:

أ. رخصة حفظ: ويشترط لها أن تجتاز صاحبها امتحان وزارة الأوقاف في حفظ القرآن وإتقان تجويده، عن طريق لجنة تختبر حفظها مع أسئلة أخرى تتعلق بدراسة الأنسة والشخصيات الدينية التي تحضر دروسها، وهنا توجه المريدات إلى ذكر أسماء مشهورة لها قبول عند الأمن، فتقول إحداهن: أنا تلميذة البوطي، أو من جماعات كفتارو، أو من مريدات أبي النور خورشيد، مع أنهن مميزات بلباسهن وهذا أمر لا يخفى على اللجنة الممتحنة.

ب. رخصة تدريس: لا يشترط لها حفظ القرآن، ولكن يجب أن تخضع من تريدها لاختبار شرعي في سبعة كتب تقريباً، وفي عهد الوزير الحالي قدمت لهن تسهيلات كثيرة مع زيادة في التنظيم والمتابعة حيث ألزمن باجتماعات دورية في مسجد الكويتي بمنطقة (الميسات) الدمشقية، إذ وضع على كل مجموعة مساجد مشرفة خاصة تتابع العمل المسجدي وترفع تقاريرها إلى الوزارة عن عدد الطالبات وأسمائهن ومستواهن مع زيارات تفقدية للتأكد من سير العمل وفق خطة الوزارة، مع أن الذهاب للمسجد قبل عام (2006م) كان شبه محظور عندهن، وبمعنى أدق ليس مستحباً.

وقد رافق شيوع نشاطهن تسليط الإعلام المحلي والعالمي الضوء عليهن، ونظراً لعدم وجود هيكل تنظيمي ظاهر للجماعة يوضح مبادئ عملها وهو أمر مقصود، كثرت الشائعات عنهن والتوصيفات والتكهنات.

(48) مقابلة مع بعض أنصار الجماعة، 2020.

(49) انظر، لى راجح، «رحلتي مع القُبسيات» <https://www.aljumhuriya.net/ar/content>

وهنا يثور التساؤل الآتي: ما المكاسب التي حققها النظام من خروجين للمسجد؟

يمكن أن نشير إلى بعضها على النحو الآتي:

1. حاول النظام تصدير فكرة أن الجماعة على رأي واحد في موقفها منه تتبنى خطابه وتدعو له في خطابه، وليس لمن يخالف هذا الموقف أي تأثير يذكر، وإنما هو قرار فردي يمثل صاحبه فقط.
2. إن خروجين للعلن بتلك الأعداد الكبيرة في معظم مساجد دمشق، أظهر النظام أمام الرأي العام بصورة الراعي للإسلام والوصي عليه.

3. من أكبر الخدمات التي قدمتها الجماعة للنظام أن طريقة تربيتهم، وهذا ينطبق على كثير من الجماعات الدينية، قائمة على تغييب الوعي، وتربية جيل لا يثق بنفسه ولا يملك قرآناً، فلا قيمة لحفظ القرآن وإتقان القراءة من شخص ضعيف لا حول له ولا طول⁽⁵⁰⁾.

ثالثاً: من المسجد إلى الوزارة إلى القصر

بدأت هذه المرحلة عام (2014 - 2015م) مع بلوغ النظام ذروة تقهقره؛ إذ وجد نفسه بحاجة إلى اتجاه ديني يسوغ أعماله الإجرامية ويضفي عليها شرعية دينية تتمثل بمحاربة إرهاب مزعوم مدعوم بمؤامرة عالمية⁽⁵¹⁾، وهنا وجدت الجماعة نفسها جاهزة على كرهٍ للقيام بذلك الدور الوظيفي مقابل الحفاظ على مكتسباتها الدعوية، فتصدر بعضهم المشهد، ويلاحظ أن الحجة والشيوخ الكبار لم يظهرن في أي مشهد مع رأس النظام ورموزه، وإنما أنسات من الدرجة الثانية أو ما يمكن تسميتهن بـ«المتسلقات» باسم الجماعة، ولكن يستحيل ذلك دون موافقة رأس هرمها، ولا بد أن نذكر ههنا تحرياً للإنصاف أن اللقاء الأول مع بشار الأسد لم يكن مخطط له من قبل، وسقن إليه سوقاً؛ إذ دعا وزير الأوقاف لاجتماع عادي مع صاحبات الرخص المسجدية، وبعد اجتماعهن نقلن بحافلات إلى القصر الرئاسي، وفي هذا السياق تم إبراز مكانة الأنسة سلمى عياش بوصفها معاون وزير الأوقاف وهي طبيبة وشقيقة زوجته مكافأة لهن على اصطفاقهن معه، إذ تحولت الوزارة بعد الثورة إلى مؤسسة أمنية خالصة (مقابلة م. ع 2020)، فوزيرها الحالي محمد عبد الستار السيد عضو مكتب الأمن القومي؛ الذي يعد أعلى سلطة مخبرانية في سورية، وهو الذي:

1. قوض استقلالية الدعوة؛ بجعلها حكراً على أنصار مؤسسته التي غدت رهينة في يد إيران.
2. سعى جاهداً لتطبيق مخطط نشر التشيع من خلال افتتاح مؤسسات علمية شيعية وحوزات زينبية تعليمية في منطقة السيدة زينب وبقوار المسجد الأموي بدمشق وفي حلب المدينة والرقعة وغيرها.
3. يعد المسؤول الأول عن إصدار قرارات منعت دخول المنقبات إلى المدارس والجامعة، وطردت بعض المعلمين من مدارسهم كي يعملوا في وظائف بعيدة جداً عن تخصصهم موظفين في

(50) مقابلة، م.ع، 2020.

(51) ينظر: برهان غليون، عطب الذّات، وقائع ثورة لم تكتمل، سورية 2011 - 2012م، ط2 (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2020م)، ص292.

مستشفيات، أو محاسبين في بلديات، أو أمناء في مستودعات⁽⁵²⁾.

4. تبنى خطابًا غايته تدجين الإسلام وتقزيمه من خلال تبني مشروع فهم الإسلام وفق مرتكزات الرئيس بشار الأسد الذي يشرف عليه حاليا الشيخ الحافظ محمد نعيم العرقسوسي.

وبهذا يكون منصب عياش منصبًا سياسيًا بامتياز، وبذلك تحولت الجماعة إلى مؤسسة أمنية ناعمة بقناع ديني تحاول إضفاء شرعية مصطنعة على نظام قاتل، وزيادة في توظيفهن كذراع أمني يعنى بالجانب الدعوي والتعليمي؛ فقد نشر إعلام النظام السوري مقطعًا آخر للقياسيات عام (2014م)، وهن يعلن تحت قبة المسجد الأموي بدمشق ولاءهن لبشار الأسد وتجديد البيعة له⁽⁵³⁾ كما كانت الحفلات بين الحين والحين تذهب بصورة دورية إلى مدارس القبيسيات؛ لتأخذهن إلى بعض الفعاليات التي ينظمها أمن النظام للتعبير عن ولائهن للقائد! كما تكررت زيارة القبيسيات وبعض الداعيات من الجماعات الأخرى للقصر الرئاسي؛ إذ أصبح مألوفًا جدًا رؤية جمع غفير من النساء يملأن قاعة كبيرة يتوسطهن بشار الأسد محاضراً عن طبيعة الإسلام الذي يريده⁽⁵⁴⁾.

وبمناسبة الاستحقاق الرئاسي رأت سوسن فلاحه - تحمل دكتوراه من كلية الدعوة والإعلام معهد الشام العالي- أنه في مثل هذه الظروف يتطلب أن نقول كلمة الصدق مع الله تعالى أولاً ومع الوطن ثانيًا، فنعلم للوحدة الوطنية التي كانت وستبقى عنوانًا لسورية الحبيبة، ودعت فلاحه إلى اختيار بشار الأسد الذي يتكلم بلسان أبناء الأمة ونبض شارعها ويحمل هموم الوطن والمواطن ويدعم المقاومة والمقاومين⁽⁵⁵⁾، ولا يمكن ههنا تجاهل أميرة شقيقة أحمد جبريل الزعيم الفلسطيني المقرب من إيران وأحد أهم أدوات الأجهزة الأمنية السورية؛ إذ لهذه الشخصية مكانتها في الجماعة، كما أن صلتهم بالتجار الذين تربطهم مصالح قوية بالنظام يكشف بلا ريب عن عمق اختراق النظام لبعض تلك الجماعات والتحكم بتوجيهها وتوجيهها.

ويلاحظ أنه في الوقت الذي سمح فيه النظام تحقيقًا لمآربه بممارسة القبيسيات للدعوة بلا قيود خشية من أمر آخر وهو "أسلمة" المجتمع في بلد تحكمه الطائفية بشعار علماني⁽⁵⁶⁾، ولهذا سلط عليهم الإعلام، تحت دعوى حرية الرأي المزعومة في بلد أمني، لتشويه صورتهم والتحذير منهن. فأنتجت عدة مسلسلات عرضت بالجماعة من أهمها "عصي الدم" عام (2005م) الذي نقد أفكار الجماعة وتصوراتها الدينية التقليدية، و"المارقون" عام (2006م) الذي عرض بأسلوبهم الدعوي المتطرف، وثالث تلك الأعمال وأكثرها إثارة وخطورة "ما ملكت أيمانكم"⁽⁵⁷⁾ عام (2010م)، وقد اعترفت إحدى الممثلات بأنها كانت تتنكر بلباسهن وتحضر مجالسهن دون أن يعلم بها أحد حتى تنجح في تأدية دورها عنهن بنجاح⁽⁵⁸⁾ حيث تناولت تلك الأعمال الجماعة بطريقة سلبية غير أخلاقية ولا مهنية، وهو ما دفع الشيخ البوطي لمهاجمة مخرجه ومطالبته الدولة بإيقافه، وعندما لم يستجب

(52) كنا نظن أن القرار صدر من وزير التربية والتعليم حتى اجتمع وزير الأوقاف بنا -نحن أساتذة كلية الشريعة- في مبنى جامعة دمشق، وصرح ساعتئذٍ بأنه هو من أوصى بذلك، وهو من يتابع تطبيق هذه القرارات.

(53) انظر: لعي راجح، مرجع سابق، 2017.

(54) انظر: عمر عمادي، علمانية تنظيميًا، مرجع سابق.

(55) يرى بعض أنصار الجماعة أن الكلمات التي تلقها بعض النساء في بعض المناسبات كانت تأتبن جاهزة من فروع الأمن، ومن عرف النظام عن قرب لا يستبعد ذلك، بل يستغرب عدم حصوله، ولكن لا يعذر في ذلك، ولا يقارن.

(56) انظر: كاترين زوييف، «سورية: النساء يقدن التجديد الإسلامي»، 2006م. <https://elaph.com/Web/NewsPapers/2006/8/173164.html>

(57) انظر: عبد الرحمن الحاج، «الأخوة القبيسيات»، <https://wefaqdev.net/art874.html>.

(58) https://islamsyria.com/site/show_articles/5451

له؛ بل على العكس كرم مخرجه ساعتند سكت الشيخ البوطي، وقيل أسكته الأمن؛ فتراجع عن رأيه تاريخاً الأمر للناس في الحكم له أو عليه⁽⁵⁹⁾.

وهكذا فإن تجنب السياسة أول الأمر ليس حياداً أو موقفاً راشداً، وإنما ممارسة لوظيفة سياسية سلبية بإبعاد الجيل عن التفكير في السلطة والمطالبة بحق المشاركة في الحكم، ثم انهزم هذا الحياد الموهوم لصالح ولاء تام للنظام وإشادة بجهوده ودوره في رعاية الدين والمحافظة على سلامة الوطن وحفظ وحدته.

وإذا كان خطاب الجماعات الإسلامية كافة خطاباً مسالماً يتجنب السياسة ويعتمد على فقه تقليدي يحرم الخروج على الحاكم الظالم، فلا ينبغي أن نحمل هذه الجماعة النسائية مسؤولية تجنبها السياسة بدايةً، وإنما تنتقد لتخليها عن مبدئها ذلك إلى اصطفاك كامل مع النظام ولو كرهماً.

إن انتقال الجماعة من السر إلى القصر يعد نتيجة طبيعية للعقلية التي أنشئت عليها هرمية الجماعة، فالولاء المطلق هي صفات مثالية لأنصار الطغاة، والجماعة نهجت سبيل الطوائف المغلقة Cults التي تتمحور حول شخص المؤسس وخلفائه، ومن ثم تحاول ربط الخلاص الفردي الأخرى للأتباع بمدى الانقياد الديني للقائد؛ الذي يسعى جاهداً لضمان البقاء والانتشار، ولن يتحقق شيء من ذلك إلا من خلال تعاون وثيق مع النظام⁽⁶⁰⁾، فما كان محظوراً بالأمس غداً مستحسننا اليوم، ما دام يحقق مصالح الفريقين.

(تعقيب):

في هذا الموقف السياسي رجحت كفة مؤيدات النظام، مع أن هناك شريحة لا بأس بها وقفت في صف الثورة وأعلن ذلك صراحة، وأخريات أعلن موقفاً أمام المقربات منهن فقط مع استمرارهن في الحلقات الدراسية؛ لأن في المجاهرة بذلك أمام الأنسات مخاطرة كبيرة؛ فقد تطرد صاحبة الموقف، أو تشوه سمعتها، أو تعرض نفسها للخطر إن علمت بذلك من لها صلة من الأنسات بمخابرات النظام اللائي كن يحذرن من الثورة بوصفها فتنة وأن الخروج بالمظاهرات سيعرض صاحبته للاعتقال وانتهاك الأعراض، ومن جانب آخر فالقيسية الملتزمة ليس لها معارف وصدقات خارج دائرة الجماعة، فمن تترك الجماعة ستعيش عزلة اجتماعية حقيقية؛ فضلاً عن أن أنسات الجماعة سيمارسن ضغطاً على عائلتها وأقربائها كلونٍ من ألوان التأديب والعقوبة.

إن انعدام البديل يجعل نسبة منهن يتمسك _ ولو صورياً _ بهن، وفق القاعدة القائلة: «نأخذ ما صفا وندع ما كدر»، أو أن استمرارها قد يساهم في التقليل من تلك الأخطاء والخطايا؛ فلا تترك الساحة لصالح رديفات النظام، تقول إحدى المعلمات: لأربع سنوات خلت قبل مغادرة سورية، ابتعدت (بقلي) عنهن، حاولت الأنسة الكبيرة جهدها معي ولامتني كثيراً على تغيري معها وابتعادي عنها، ولكن تابعت درسي في تحفيظ القرآن، خوفاً من أن أفقد ثواب التعليم، كما كنت أحضر دروس التفسير مجاملة لوالدي وهي داعية في الجماعة وصديقة الأنسة، ومع ذلك ضغط عليها وسئلت عني كثيراً، وهي تعرف سبب تحول موقفي، ولكن كانت تتجنب الإجابة الصريحة وتلجأ إلى الترقيع والتذرع بخدمة زوجي وأطفالي، وأعرف كثيراً من الحالات المشابهة».

<http://sham.fm/ar/article> (59)

(60) Ahmad Dadosh.2020 .

المطلب الثالث: الجانب الاجتماعي

نتحدث في هذا الطلب عن موقف القبيسيات من الرجال، وأثرهن في المجتمع، وأسباب انتشارهن.

أولاً: القبيسيات والرجال

ليس للقبيسيات موقف عدائي معلن من الرجل أو على الأقل ليس في أدبياتهن الخاصة ومجالسهن ما يستوجب تحذيراً منه أو انتقاصاً، ومن هنا يأتي التساؤل الآتي: من أين جاء إذًا موقفهن السلبي منه؟

إن التيار انتشر في دمشق أولاً، وغالب المنتسبات له ينتمين إلى وسط ديني محافظ غالباً، وجعلن من جملة أولوياتهن التركيز على التربية التقليدية الشائعة في أدبيات التصوف المتمثلة بعلاقة الشيخ بالمريد، ومن جانب آخر فإن طبيعة هذه الجماعة قائمة على هندسة هيكلية تسعى لضبط سلوك المريدات ضبطاً لا يسمح بأي تجاوز أو مخالفة، ولا يتحقق ذلك إلا من خلال صلة كبيرة بين المعلمة والمتعلمة ولكل منهما طريقتهما في صياغة هذه العلاقة وتوطيدها؛ فالمعلمة حريصة كل الحرص على إظهار درجة كبيرة من الصرامة والتوجيه؛ كي تصنع المريدة على عينيها وتربيتها خاصة ويرافق هذا المنهج الصارم جانب من الشفقة والرأفة بحيث يتنامى للمريدة أن ما تفعله المعلمة لمصلحتها في المقام الأول، وهو المنهج الراشد لتحقيق أهداف الجماعة، ومن جانب آخر على المريدة إظهار جانب كبير من الحب للمعلمة والطاعة العمياء كي تنال رضاها وتقرب منها، ومع تطاول العهد تتحول -وهو الجانب الأكثر خطورة- تلك السيطرة العاطفية إلى حال من هيمان حقيقي للمريدة بشيختها يصحبه بكاء المريدة عند ذكر المعلمة وخفقان قلبها وهيجانه عند مرورها، وتعد هذه الأشياء ظاهرة صحية في نظرهن وصحيحة، لأنها وسيلة تفرغ عاطفي، فتعلقها بأنستها أفضل من تعلقها بشاب، فتصبح الفتيات يدرن في فلك الأنسة وينسلخن عن المجتمع تدريجياً، لصالح التلاشي في الجماعة⁽⁶¹⁾؛ إذ تشعر المريدة أنها خلقت لخدمة الجماعة على نحو لا يتناهى فتجعلها تعيش حالة اغتراب معقدة لا ترى في مجتمعها سوى أنستها، وآلية التخدير هذه التي برمجت عقل المريدة وغسلته قد أفاد منها النظام كثيراً في الدعاية له، فموقف الأنسة هو موقف آلاف الطالبات.

هذه العلاقة تطورت من علاقة مريدة بمرربة إلى نوع من التآخي الروحي وحال من اللاشعور تفتى من خلالها شخصية المريدة بالشيخة، فتسيطر عليها بحيث تصبح أداة بيدها ومستودع سرها وملأها الأمن، ثم تتطور لتحاكيها؛ بأن تصبح صورة مصغرة عنها تقلدها في الأمور الفطرية والجبلية كطريقة الكلام أو المشي أو الطعام، وتبقى في خاطرها حضرت أو غابت فهي النموذج الأمثل وبوصلة الحق، ومآل تربية المعلمة لطالبتها بهذه الطريقة أن تورثها عصمة، وتأخذ بيدها نحو الكمال.

إن برمجة المريدة بهذه الطريقة لن تسمح بأي اهتمام خارج هذه الدائرة. فتهمز فطرة البنت في السعي نحو الزواج وتكوين أسرة لصالح تلك المنظومة المغلقة التي تهدف لتحقيق حال من الفناء بالشيخة.

ويضاف إلى ذلك أنهن استندن إلى الأدبيات الفقهية في الدين الإسلامي التي لا تسمح بالخلوة مع الرجال ولا مخالطتهم، فاتجهت المعلمات للتحذير من أي سلوك يفهم منه الاقتراب من عالمهم؛ بأي فعل أو قول أو ارتداء ما

(61) انظر: ليلي الرفاعي، مرجع سابق.

يثيرهم أو يتشبه بهم، فعلى المريدة أن تمشي في طريقها على نحو لا يثير شبهة، فعيونها في الأرض وإذا اضطرت لمحادثة بائع في متجر مثلاً فلا تكلمه ولا تنظر إليه ولا تبتسم، وعلما أن تضع النقود في مكان خشية أن تلمس يدها يده، ولا تلبس (بنطالاً)؛ لأنه تشبه بالرجال، وبعضهن _ وهن قلة _ توصي تلامذتها أن يكون لباسها محتشماً أمام محارمها خشية أن يتصورها الذكور _ في لحظة ضعف بشري _ على نحو يثير الشهوة، ويدللن على ذلك بوقائع زنى المحارم التي ترجع غالباً إلى إهمال آداب الحشمة والعفة.⁽⁶²⁾

وهذه المريدة التي التزمت معهن في سن مبكرة، وتتوالى عليها هذه الأوامر والإرشادات التي لا مناص من تنفيذها لنيل رضا المعلمة، تصبح في حالة عداء لا شعورية للرجل؛ إذ يتحول في مخيلها إلى مفترس ينتظر أي فرصة للإيقاع بفريسته، ومن هنا تتأخر فرصة زواج بعضهن، وشريحة أخرى منهن لا ترى ضرورة للزواج أصلاً؛ لأن حياتها مبرمجة لخدمة الجماعة وأن الزواج أو التفكير فيه قد يؤثر على رسالتها، ومن تتزوج منهن قد تعاني عدم استقرار أسري وهناك حالات كثيرة انتهت بالطلاق، ويرجع سبب ذلك _ في المقام الأول _ إلى تعلق المريدة بشيختها تعلقاً روحياً بحيث تصبح أداة في يدها توجيهها كيف شاءت، فهي الأمر الناهي وصاحبة الكلمة العليا، ومن ثم تهزم قوامه الرجل لصالح تلك الطاعة العمياء، فلا يرى الرجل في ذلك سوى تمرد عليه وانتقاص من قدره وتجاوز لفطرة المرأة ولوظيفتها المتمثلة في العناية بالبيت والزوج.

ومن الأسباب التي تذكر هنا أن الطريقة التي تربين عليها من قسوة وانضباط وحزم يجعل من إحداهن شخصية قوية عصبية على الخضوع لأوامر الزوج فضلاً على حال من الغرور العلمي تؤدي إلى عقد نفسية ولا سيما إذا كان الزوج أمياً، أو لا يملك ثقافة دينية جيدة. فإنها تتعالى عليه كونها تحفظ القرآن فضلاً على تحصيل علمي لبعض المواد الدينية، وهذا يجعل الرجل أمام خيارين: إما أن يحطم الرابطة الزوجية؛ إذ يفسر تصرفات زوجته نوعاً من النشوز الذي يأبى العلاج، أو القبول بهذا الوضع، فيبقى لا رأي له ولا قوامه تابعاً لها راضياً بهذا المستوى من العلاقة التشاركية التي يمثل فيها الجانب الأضعف، ولا بد من الإشارة إلى أنه لما سلكت الحجات هذا المسلك، أعني عدم الزواج، تأثر بهن بعض المريدات في ذلك.

أما رمي الجماعة بمسلك الرهبانية النصرانية في العزوف عن الزواج، فلا دليل عليه، ولبعض المعلمات تفسير لحالة عدم الزواج أو تأخرها بأن هذه الأمر لا بد أن يفهم من خلال معيارين: الأول شخصي يرجع إلى ظروف كل فتاة، والثاني موضوعي وهو أن غالبية نساء الجماعة من النخب الاجتماعية المثقفة، ومن هنا قد لا تتوفر في الرجل العروس ما يشترطه من صفات خاصة تناسبهن، فتتضاءل فرص الزواج،⁽⁶³⁾ وهذا الأمر _ إن صح _ ليس حكراً على القيسيات، وإنما هو شأن معظم النخب الاجتماعية، كما أن اتهامهن بالمثلية ضربٌ من ضروب الظلم المر والوهم البعيد.

وعلى ضوء ما سبق؛ فإن هذه العلاقة «الإجلالية» التي تتجاوز الحب إلى التقديس _ كما يرى ماكس فيبر _ لا تختص بجماعة معينة ولا بيئة معينة ولا عصر معين؛ ذلك أن لها ظواهر مشابهة عند البوذيين والكونفوشيوسيين وجميع نظم التربية الرهبانية والتي تتجسد في لزوم الخضوع للشيخ ذي السلطة المطلقة، وبحيث يكون الوفاء له مقدماً على حق الأسرة، بل يصبح الشيخ عند بعضهم مصدرًا للحياة، ولما كانت تلك الحياة تحتاج إلى مبدأي

(62) مقابلة، ع، 2020.

(63) مقابلة، ي، 2020.

التولد (ذكر وأنثى)، فإنهما يتمثلان في الشيخ كما تتمثل فيها البركة والقوة والقهر، وهكذا فإن سلطة الولي تتجسد في سلسلة الرجال مع تغيير النساء واقصائهن إلا في الانجاب للحفاظ على التسلسل الذكوري، وضمان استمرار تسلط «الأب» و«الشيخ» و«ولي» الأمر⁽⁶⁴⁾.

وهذا الاقصاء للمرأة سيقلبه عند أي جماعة نسائية حالة من الإقصاء اللاشعوري للرجل، وقد بلغ الأمر ذروته عند الاتجاه النسوي الذي يجاهر بعدائه المسرف للرجل وشهوة الانتقام منه، من خلال إلغاء دور الأب في الأسرة والتمرد عليه ورفض الزواج والإنجاب، ولخص ذلك كله شعارهن الآتي: (Your body is your Own)⁽⁶⁵⁾

ثانيًا: أثر القبيسيات في المجتمع

هناك عوامل عدة جعلت نسبة من هذه الجماعة مغيبة عن الواقع وفاقدة للرؤية الصحيحة للدين والحياة، وهناك نسبة أخرى تملك وعيًا ونضجًا ولكن لا قيمة لذلك في ظل عقل جمعي يجذب البنت لتبقى في فلك المجموعة، ومن أهم أسباب ذلك:

1. أنها جماعة نسائية، والمرأة الشرقية مهما بلغت في تحصيلها العلمي ودرجة ثقافتها؛ فإنها تعاني من قصور الرأي والرؤية تحت وطأة مجتمع ذكوري يعاملها بفوقية معرفية وحذر وعدم ثقة.
2. اختيارهن لطريقة سرية الدعوة لمرحلة زمنية طويلة جعل تأثيرهن لا يتجاوز الوسط الاجتماعي الذي ينشط فيه، فهن مجتمع مستقل صغير ضمن مجتمع كبير.
3. إن طريقتهم في انتقاء الأعضاء واختيار بيئة الدعوة جعلهن جماعة «نخبوية» فضلًا عن أن نشاطهن يتجه لخدمة الجماعة على نحو يوازي خدمة الدين، وهذه الأمور أفقدت القبيسيات شريحة واسعة من المجتمع السوري، وقد زادت النظرة السلبية إليهن بعد تأييدهن النظام السوري خلال سنوات الثورة؛ إذ نظر إليهن بوصفهن جماعة سعت جهدها وجاهدت لترميم نظام طائفي مهالك، وإعادة تأهيله بوصفه حارسًا للدين والدنيا.
4. المادة المعرفية التي يتلقونها في المقررات الدراسية تتناول العبادات والأخلاق والمواظب وتستبعد القراءات الفلسفية والفكرية، وهذا الموروث الثقافي الضئيل غير كافٍ لتحقيق النمو المعرفي القادر على أن يترك أثرًا إيجابيًا في مجتمع تقليدي مغلق، فضلًا عن افتقار كثير من المعلمات للمؤهلات العلمية المطلوبة.
5. غالبًا الجماعات المغلقة التي بنت هيكلها التنظيمي على أساس طبقي متأثرة بالطريقة الصوفية في جدلية العلاقة بين المريد والشيخ، تتضرر كثيرًا بوجود وعي معرفي؛

(64) انظر حول هذا المعنى: عبد الله حمودي: الشيخ والمريد النسق الثقافي للسلطة في المجتمعات العربية الحديثة، عبد المجيد جحفة (مترجم)، ط4، (المغرب: دار توبقال للنشر، 2010م)، ص 190 _ 192.

(65) انظر ثائر الحلاق، مرجع سابق، ص 130، 131.

بل قوتها الدعوية تتجلى في قدرتها على التحكم بأعضائها في تغييب الوعي وتشجيع التعصب لها والتقليد. فلو سمحت بنشر الوعي أو تركت له مساحة في أدبياتها؛ لكانت أول ضحاياها وأكثر المتضررين به، وهذا شأن أكثر الجماعات؛ إذ يجد المفكر الذي ينتسب إليها نفسه مضطراً أن يوقف حياته للدفاع عن أخطاء الجماعة وتسويغها.

6. تجنب الوعي ضرورة كي تستمر دعوتها في ظل أنظمة طائفية شمولية، فالأنظمة الدكتاتورية كما قيل لا تتضرر بشيء تضررها من وعي الشعوب، والمجتمع المحكوم بالطغيان تتعطل فيه القيم كافة وتهدر الطاقات. وهكذا فالسلطة الدكتاتورية والوعي المجتمعي في حرب ضروس، ومن هنا يصعب جداً أن تسمح بنشر فكر قد تعجز عن السيطرة عليه، وهذا ما يفسر أن المقررات التي تدرسها القبيسيات في المسجد غير التي في مجالسهن الخاصة؛ إذ تقتصر تلك الجلسات على عدد محدد وشخصيات محددة.

7. الوعي السليم لا ينمو إلا في جو من الحرية المطلقة، وهذه مفقودة في الجماعات الدعوية ولا سيما عند القبيسيات حيث كبلت المريدة وحوصرت بما لا يحصى من النصائح والأدبيات التي تجعلها تابعة لا حول لها ولا قوة، فهي محاصرة بالآنسة الواحدة والرأي الواحد والمذهب الواحد والاتجاه الواحد، وهذا يجعلها نسخة عن معلمتها، وأي خروج عن هذا النسق خروج عن الصواب، وهكذا فالتشدد في ربط المريدة بالمعلمة يؤدي إلى سلب إيجابيات الطرف الأضعف لتقتصر وظيفته على الدوران في فلك الأول.

8. أن الجماعة ليست على مستوى واحد من التفكير بالضرورة، ويوجد منهن من تمتلك وعياً جيداً، ولكن لا قيمة لهذا الوعي الفردي طالما كانت تبعية الفرد للجماعة قائمة. ومن ثم يستطيع التفرد برأي أو إحداث أي تغيير داخل بنيتها، كما أن طبيعة التدين التقليدي قائمة على مبدأ التسليم للواقع وعدم الخروج عن المؤلف، ومن جانب آخر إن اكتساب الوعي ضربية لن تقوى هذه الجماعة على دفعها، فلن تستبدل بمساحة الأمان أي شيء ولو كان أفضل حالاً وأحسن مآلاً.

9. وهناك قاعدة تسيير عليها القبيسيات وسائر الجماعات الأخرى أن الاهتمام بصلاح القاعدة الشعبية سيلزم عنه بالضرورة تبدل المجتمع نحو الأفضل، ولو احتاج إلى زمن طويل، فالطريق الآمن، وإن طال كثيراً، أفضل من طريق قصير محفوف بالمخاطر.

10. أن هذه الجماعة التي تنتمي قادتها إلى بيئات ثرية لا تتفطن إلى الآثار السلبية الناتجة عن غياب الوعي، ما دامت مقومات الحياة الأساسية متوافرة.

ثالثًا: أسباب الانتشار

حظيت الجماعة بقبول كبير في دمشق وريفها، مهدها الأول وساحتها الدعوية الأساسية، ولها امتداد داخل سورية خارج دمشق، ففي حمص انقسمت الجماعة إلى قسم تزعمته وفاء حمدون، معلمة اللغة العربية، التي لها أصول إخوانية وقد مارست نشاطها من خلال جمعية البر والخدمات الاجتماعية المرخصة قانونياً، وهذا التيار منفتح فكرياً، وآخر تقليدي مشابه لنهج القبيسيات في دمشق تقوده أمية أبو زيد التي اشتهرت من خلال إدارتها لمدرسة طلائع النور التي حظيت بزيارة خاصة من أسماء الأسد⁽⁶⁶⁾.

وللجماعة حضورٌ خارج سورية في بلدان عربية عدة، من مثل لبنان والأردن والكويت ومصر، ومع هجرة السوريين إلى أوروپة ظهر لهم نشاطٌ في بلدانها، وقدر عددهن في الداخل والخارج بأكثر من (75) ألفاً⁽⁶⁷⁾، ولانتشار هذه الجماعة أسبابٌ كثيرة ومتنوعة منها⁽⁶⁸⁾:

1. ولدت الجماعة في بيئة ثرية ينتمي أعضاؤها إلى أسر دمشقية مشهورة، ولهذا لاقت قبولاً وذبوعاً منذ نشأتها الأولى، ولكن استمرار الربط بين الجماعة والطبقة الثرية لا يستقيم فقد انتشرت كذلك في الطبقتين الوسطى والصغيرة.

2. استطاعت المؤسسة منيرة وتلامذتها كسب ود الاتجاهات الدينية كافة متجنبة أي تصادم بأي تيار، وبطريقة المهادنة هذه تمكنت المعلمات من استقطاب نساء الجماعات، فضلاً على أن رموز تلك الجماعات أشادوا بهن ومدحوا طريقتهم الدعوية.

3. استحوذت الجماعة على رصيد مالي كبير سخر باحترافية شديدة لخدمة نشاطات الجماعة الدعوية. فالاحتفالات بختم القرآن أو إتقانه وتجويده كانت تضم عدداً كبيراً منهن ومن ضيوفهن، وهذه الطريقة أسهمت بالتعريف بالجماعة.

4. عرفت الجماعة بالاعتماد كثيراً على الهدايا والهبات مع ملاحظة أن قيمتها تختلف من بيئة إلى أخرى، فما يقدم في مناطق يسكنها أثرياء كالمالكي والمهاجرين والمزة البيضاء يختلف كثيراً عما يهدى لأبناء ريف دمشق وضواحيها كالحجر الأسود والقابون وجوبر، حتى المساجد اللائي يشرفن عليهن كانت مجهزة بغرف الهدايا ومطابخ الخدمة، وهكذا فالهدايا التي تقدم للمريدات كانت عاملاً مهماً في تشجيع الحفظ والاستمرار فيه، والتزام دروس الجماعة وملازمتها، ولم تقتصر الهدايا على الطالبات؛ إذ كانت تقدم لبعض الرموز الدينية تقريباً وتودداً، فبيت الدكتور البوطي في ركن الدين كان هدية من الحاجة منيرة القبيسي⁽⁶⁹⁾.

5. القدرة التنظيمية والإدارية للجماعة بالإضافة إلى مهارة عالية في الدعوة قد جذبت عدداً كبيراً من الفتيات، بينما لم يتوافر ذلك في أي عمل دعوي نسائي عند أي جماعة أخرى؛ إذ بقي فردياً

(66) انظر: د.م، «القبيسيات، النشأة والتكوين»، مركز جسور.

(67) انظر: عمر عمادي، علمانية تنظيمياً، مرجع سابق.

(68) انظر: هوازن خداج، مرجع سابق.

(69) انظر: محمد خير موسى، مرجع سابق، ص 34.

- غير منظم منقطعاً غير مستمر فقيراً لا يسعى لهدف واضح.
6. إن دعم النظام لنشاطهن الدعوي على نحو يخدم مصالحه؛ قد أغرى بعض الداعيات للالتفاف حولهن؛ حماية لأنفسهن من المساءلة الأمنية.
7. يمتلكن أكثر من (50 بالمئة) من المدارس الخاصة التي تنتشر في دمشق كالبوادر في كفر سوسة، والبشائر في المزة، ودوحة المجد في المالكي، ودار الفرح بالمهاجرين، وعمر بن عبد العزيز في الهامة، وقد نجحن في إدارة تلك المدارس نجاحاً كبيراً، فكانت بيئة مناسبة؛ لانتقاء فتيات جديدات وتقديم صورة ناصعة عن الجماعة، كما أن المساكن التي أسسها لطالبات الجامعة تتصف بقدر كبير من الانضباط والنظام والأمان⁽⁷⁰⁾، وهذا باب كبير من أبواب الدعاية لهن.
8. اعتمدت الجماعة كتب مشاهير مشايخ دمشق كالبوطي والعتري والزحيلي، وكتب هؤلاء قبولاً عريض عند الناس، فاكتسبن مصداقية كبيرة نتيجة ذلك، ثم خطت الجماعة خطوة إيجابية أخرى عندما اتجهن للتأليف، فصدر لهن مجموعة متنوعة من المؤلفات التي قدم لها بعض علماء دمشق، وهذا باب آخر لانتشار فكر الجماعة وشهرتها.
9. للعاصمة دمشق التي نشأت فيها الجماعة خصوصية كبيرة، ذلك أنها تحتضن أشهر الجامعات وأعرقها، ومن هنا فقد استقطبت دمشق طلاباً من المناطق السورية كافة، فاستغلت الجماعة ذلك بالتواصل مع الطالبات الوافدات والتعرف عليهن ودعوتهن لحضور مجالسهن مع وعود سخية بمساعدتهن علمياً ومادياً؛ فانتهب لصفوف الجماعة كثيرٌ منهن، وبعد تخرجهن وعودتهن إلى مدتهن ساهمن بنشر فكر الجماعة وطريقتها.
10. ركزن في دعوتهن على أمرين مهمين:
- أولهما: حفظ القرآن وكتب السنة، ولهذين المصدرين أهمية كبرى عند المتدينين؛ فانتهب إليهن عدد كبير تحقيقاً لهذا الأمر، وثانيهما: الدعوة إلى التمسك بالحجاب الذي أخذ رمزية كبيرة، ولا سيما بعد أن حورب من قبل النظام إلى أن صدر قرار بمنعه في المدارس ولا تزال مشاهد انتزاع الحجاب بالقوة في الشوارع العامة بدمشق من قبل عناصر سرايا الدفاع بقيادة رفعت الأسد حاضرة في ذاكرة السوريين؛ فاتخذ الحجاب رمزية شديدة وغدت الدعوة إليه دعوة إلى الإسلام.
11. الاهتمام بالرقائق والمواظ مع حضور الإنشاد الديني، وهذا أمر تستهويه النفوس وتركن إليه، وبهذا الأسلوب استقطبن كثيراً من المريدات الجدد، مع مهارة كبيرة في الدعوة من لين في الكلام ولباقة في مخاطبة الآخر واهتمام به ومتابعته.
12. استفادت بعض القبيسيات اللاتي هاجرن إلى أوربة من مناخ الحرية الدينية؛ إذ لم يجدن عائلاً يقف في وجه الدعوة، كما استفدن من نساء الجاليات اللواتي يتعطشن للدعوة الدينية ولا سيما الاهتمام بالقرآن الكريم حفظاً وتجويداً.

(70) انظر: محمد حبش، «القُبَيْسيات المَلْفُ المَجْهُول»، 2014م، <http://www.all4syria.info/Archive>.

13. كان لزواج بعض الشخصيات الكبيرة في الجماعة من نخبة العلماء والأثرياء في الداخل والخارج أثرٌ كبير في التعريف بالجماعة والتبشير بدعوتها، ف«أميرة العرجا» تزوجت من البوطي، و«آمال الشيشكلي» من يوسف ندا، و«نهيدة طرقيجي» من رجل الأعمال هيثم السيوفي، وأختها «رصينة» من الدكتور محمد الهواري المقرب من عصام العطار⁽⁷¹⁾.

14. الإعلان بالابتعاد عن السياسة مع الاهتمام بالدعوة الدينية والتركيز على الجانب الروحي الذي يلقى قبولاً عند الشرائع الاجتماعية كافة.

وأخيراً إن إيمان الجماعة بمبادئها وحرصها على الدعوة ببذل المال والوقت والجهد من أعظم العوامل في استمرار الجماعة وانتشارها.

المطلب الرابع: الأصول الدعوية والفكرية للقبيسيات

لا يعدم الناظر أن بين القبيسيات وبعض الجماعات الأخرى التي ظهرت في القرن الماضي وشائج قربي، فقد نجحت هذه الجماعة وباحترافية شديدة من الإفادة من أفكار تلك الاتجاهات في بناء هيكلها التنظيمي والدعوي، ويمكن رصد ثلاثة اتجاهات رئيسة اضطلعت بدور كبير ومؤثر في تشكيلها وتوجيهها، وهي:

أولاً: الاتجاه الصوفي النقشبندي

نشأت النقشبندية في «بخارى» نحو منتصف القرن الثامن الهجري على يد الشيخ محمد بهاء الدين بن نقشبند، ومن سمرقند انتشرت فوصلت الهند، ثم أدخلها العراق ضياء الدين خالد الشهرزوري المعروف بالنقشبندي (ت. 1827)، وقد أجازها بها غلام علي شاه عبد الله الدهلوي، ثم غزت بلاد الشام في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بحسب أقدم إجازة منحها الشيخ خالد النقشبندي لأحد مريديه إذ دون عليها تاريخ دخولها.

كان شيخ الطريقة تعيينه السلطة العثمانية وتغديق عليها من أموال الأوقاف، ومن أبرز أسباب انتشار الطريقة النقشبندية على رقعة جغرافية واسعة هو قدرتها على التكيف مع الظروف السياسية والاجتماعية لكل دولة؛ إذ قسمت نفسها إلى قطاعات، وهذا ما يفسر وجود عدة اتجاهات لها في المنطقة الواحدة⁽⁷²⁾، فهناك اتجاهان مثلاً في سورية: أحدهما في منطقة الجزيرة السورية، والآخر في دمشق يتمثل في عصرنا بجماعة أبي النور، أو ما باتت تعرف حالياً بجماعة الشيخ أحمد كفتارو؛ ففي عام (1936م) أصبح أحمد كفتارو شيخ الطريقة النقشبندية بدمشق خلقاً لوالده أمين بعد وفاته عام (1936م)⁽⁷³⁾، ويمكن أن نرصد تأثير الجماعة القبيسية بجماعة أبي النور في الأمور الآتية:

1. تمثل فرعاً نسائياً مستقلاً للطريقة النقشبندية المحدثنة في مقابل الفرع

(71) انظر: محمد خير موسى، ص33.

(72) انظر عباس المرشد، الجغرافيا المتدينة: الامتداد والاستيعاب لدى متصوفة الشام، ضمن كتاب الإسلام النائم، ط1، (الإمارات: مركز المسبار للدراسات والنشر، 2013م)، ص412-422.

(73) للمؤلف بحث لما ينشر بعد عن الجماعات الدينية في سورية، عرض فيه لجماعة الشيخ أحمد كفتارو وصلتها بغيرها.

الذكوري التقليدي.

2. تأثرت بها في الجانب الروحي التربوي القائم على ذكر الله تعالى والأناشيد الدينية بطريقة تأملية يعقها صمت كامل مع ضوء خافت⁽⁷⁴⁾ وعلاقة المرید بالشیخ وأدائهما.
3. للولي قداسة كبيرة في التراث الصوفي بوصفه محفوظاً، ومن هنا لا يتردد بعض المتصوفة (لا الصوفية) في تقديم رأي الولي على ظاهر حكم الشرع، مستدلين بقصة الخضر _ عليه السلام _ مع الغلام ومساكين السفينة في سورة الكهف، ومن خلال المقابلات تبين أن بعض القيسيات يقدم رأی الحجة الكبيرة ولو خالف في الظاهر أمرًا شرعيًا، ومن ذلك تقصير (المانطو)، ولبس حجاب يظهر الرقبة ويشف عن الأذنين غالبًا، وإباحة دخول الحائض للمسجد وتساهل بعضهن في بقاء أثر الطيب خارج المنزل وكلها محظورات شرعية، وتأكيدًا لهذه الفكرة فرقت بعض المعلمات بين كلمتي (الرسول)، و(رسول الله، أو رسوله)؛ فالثانية يقصد بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، أما الأولى فتعني كل مرٍ صادق، وعلى هذا النحو تصبح طاعة الشيخ/الأنسة واجبة بنص الآية: ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ [التغابن:12]⁽⁷⁵⁾، ولا يخفى خطل هذا الرأي وشدوذه.
4. وأخيرًا تشابه موقف القيسيات وجماعة كفتارو في موقفهما النفعي التخادمي مع السلطة.

ثانيًا: جماعة زيد

أسسها الشيخ عبد الكريم الرفاعي (1901-1973م) الذي تتلمذ على يد اثنين من مشاهير شيوخ دمشق علي الدقر (1877-1943)، وبدر الدين الحسني (1851-1935) درس في الجمعية الغراء التي ضمت خيرة رجالات دمشق من مشايخ وتجار وأطباء وغيرهم، ثم بعد ذلك اتخذ من جامع زيد مركزًا لنشاطه الدعوي فقصده طلاب العلم، وكانت الأنسة منيرة مع ثلة من المقربات منها تحضر بعض مجالسه الخاصة (مقابلة ج، س 2020)، وقد أفادت منه الجماعة القيسية في طريقته الإدارية المتمثلة بالأمور الآتية⁽⁷⁶⁾:

1. تنظيم الحلقات من خلال توزيع الطلاب إلى مستويات حسب مراحلهم الدراسية، مع مراعاة فصل الكبار عن الصغار، والمثقفين عن العامة.

(74) انظر: عمر عمادي، مرجع سابق.

(75) مقابلة، س، 2020.

(76) انظر عبد المجيد البيانوني، رسالة المسجد في سورية في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري، دراسة تأصيلية تطبيقية على مدرستي الشيخ أحمد عز الدين البيانوني في حلب والشيخ عبد الكريم الرفاعي في دمشق، (السودان: رسالة دكتوراه بجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، 1996م)، ص 455-470.

2. تنظيم نشاطات المتعلم من خلال جدول أعمال يومي وأسبوعي مع ضرورة الاهتمام بالأُسرة.
 3. الأخذ من كل جماعة أحسن ما في جعبتها، فالحكمة ضالة المؤمن، ولهذا نال محبة معظم مشايخ الجماعات الدعوية وتقديرهم.
 4. التركيز على العلم والعمل مع كثرة الذكر والتبليغ بشرط أن يكون هذا التنظيم ليس سرّياً، ذلك أن بعض الجماعات الدعوية السرية قد دخلوا في مجاهيل لا تنتهي واضطرابات أثرت في دعوتهم.
 5. الجمع بين علوم الدنيا والدين واعتماد كتب مقررة في كل علم بحسب مستويات المتعلمين وأعمارهم.
 6. انتقال المتعلم المتقن إلى معلم، بمعنى يمكن للطالب أن يكون في حلقة متعلماً، وفي أخرى معلماً مع التركيز على بث روح التنافس بين الطلبة.
 7. تقسيم العمل المسجدي إلى لجان متخصصة تشمل: التدريس والقرآن الكريم والإدارة ومتابعة الحلقات...إلخ.
 8. جعل الأولوية للقرآن حفظاً وتلاوة من خلال برنامج واضح متدرج، وبعد حفظ كل جزء يختبر به مع ضرورة مذاكرة الطالب مع أخ له لمراجعة الحفظ، فإذا أتم ختمه على حافظٍ مجاز انتقل ليقراً ختمة كاملة على الشيخ القارئ أبي الحسن الكردي؛ الذي يعد بحق أحد أهم مؤسسي النهضة القرآنية في الشام حيث أجاز مئات الحفاظ⁽⁷⁷⁾، وقد لاحظت أن كثيراً من طالباتنا القبيسيات في كلية الشريعة قد أجزن منه؛ بتشجيع حثيث من معلماتهن.
 9. إقامة حفل سنوي لتخريج الحفاظ بحضور جمع غفير من الناس تشجيعاً لهم في توجيه أولادهم لتلك الحلقات القرآنية.
 10. لم يهمل شأن النساء فقد خصص -رحمه الله تعالى- لهن درسي الفقه والتوحيد صباح كل يوم في بيته يدرسهن من وراء حجاب، وكانت السيدة درية العيطة صاحبة كتاب فقه العبادات، وهي من كبار المعلمات القبيسيات، ملازمة لدروسه وقد ذكرت في مقدمة كتابها: "قمت بجمع مادته مما تلقيته عن أستاذه في علم الفقه المرحوم الشيخ عبد الكريم الرفاعي كرم الله مثواه وجزاه عني كل خير"⁽⁷⁸⁾.
 11. كان يلتقي معظم علماء الشام في مجالس خاصة، ولم يكن يمنح طلابه هذا المزية حتى لا يتضرر الطالب بتعدد المشارب أو يقع ضحية الخلافات بين الجماعات، ولهذا اختار منهجاً وسطاً في التزكية؛ إذ انتقى أوراذاً سبعة مأثورة ألزم طلابه بها دون غيرها من الأوراد الصوفية.
- وعموماً يستثنى من مخالطة الجماعات الأخرى من أراد من طلابه أن يتخصص في فن معين كالقراءات أو

(77) توماس بيريه، الدين والدولة في سورية، علماء السنّة من الانقلاب إلى الثورة، حازم نهار (مترجمًا) ط1، (الدوحة/إسطنبول: دار ميسلون، 2020)، ص 86،

87.

(78) مقدمة كتاب فقه العبادات على المذهب الشافعي، (د.م: دن، د.ت)، ص 3.

يأخذ علمًا ممن يتقنه، بيد أن بعض أنسات القبيسيات غلت في ذلك حتى حظرت على مريدتها أن تحضر درس أنسة أخرى من الجماعة ذاتها؛ تخوفا من فكرة «التشويش».

12. نأى بنفسه وزهد طلابه في كل الانتماءات الحزبية والسياسية، فالانخراط في السياسة _ كما يرى _ يبعد الداعية عن مهمته الحقيقية، ويضطره للمداهنة والتنازل عن بعض مبادئه وقيمه.

وقد كانت الثورة السورية التي بدأت (2011م) حدثًا فارقًا في تاريخ جماعة زيد؛ إذ انحازت أبرز قياداتها للثورة الشعبية منذ أيامها الأولى؛ فأعلنت -على منبر جامع الرفاعي وفي مواقف أخرى- موقفًا لا مواربة فيه، أعقبه حادثة اعتداء (الشبيحة) عام (2011م) في شهر رمضان على الشيخ أسامة الرفاعي أحد أكبر رموز الجماعة؛ فاضطر مع بعض كوادرها للخروج بعد أن ضيق عليهم، بينما بقيت أهم القيادات القبيسية في الداخل تحاول التأقلم مع الوضع الجديد؛ فانتهى بها اجتهادها إلى اصطفاف مع النظام؛ بوصفه أفضل الخيارات المتاحة، وأنه ليس في الإمكان سوى ما كان.

ثالثًا: الاتجاه الأكاديمي (أساتذة الجامعة)

كانت دراسة الأنسة منيرة في كلية الشريعة فرصة سانحة للاحتكاك ببعض قادة الإخوان المسلمين الذين كانت لهم الكلمة العليا في كلية الشريعة، وأبرزهم مصطفى السباعي (ت1964م) ومحمد المبارك (ت1981م) وعصام العطار (لا يزال حيا) خطيب مسجد الجامعة⁽⁷⁹⁾، ولا يمكن أن نتوقع علاقة مستمرة مع هذه الجماعة؛ نتيجة موقفها التصادمي مع السلطة، غير أن ثمة علاقة أخرى أكثر تماسكا ربطت بين القبيسيات وبعض الشخصيات الدينية الأكاديمية الأخرى وهم: محمد سعيد رمضان البوطي (ت. 2013م) رئيس قسم العقائد والأديان، ووهبة الزحيلي (ت. 2016م) مدرس الفقه وأصوله، ونور الدين عتر (ت 2020م)، رئيس قسم علوم القرآن والسنة وهو الذي كان يجيز حافظات الصحیحين والسنن الأربعة.

لهؤلاء أكبر الأثر - ولا سيما البوطي - في الجماعة من خلال توجهها فكريا ومنهجيا⁽⁸⁰⁾ والدعاية لها كما كانت بعض كتبهم معتمدة في حلقات الدرس، ويرى الشيخ عبد الله دك الباب أن معظم نساء المشايخ لهن صلة بالجماعة، ويؤكد ذلك الدكتور محمد حبش أستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة أبو ظبي حاليا بأن معظم، إن لم يكن جميع زوجات الشيوخ الكبار أو بناتهم هن من الداعيات القبيسيات؛ بل اعترف الدكتور توفيق البوطي عميد كلية الشريعة الأسبق بأن زوجة ابنه وابنته تنتميان لهن⁽⁸¹⁾ وتأكيدًا لتلك الصلة العميقة فقد حضرت خير جحا حفلة زواج ابنته مع أنها لم تكن تلتزم بفكرهن ولا لباسهن، ودافع البوطي الأب عن عدم تغطيتهن الوجه؛ بأن لبس الخمار ليس واجبًا، وقدم لكتاب الجامع في السيرة ولمختصره أيضًا، وقال مادحًا صاحبته: "فتاة من أبرز الفتيات المنصرفات إلى خدمة هذا الدين الإسلامي العظيم علمًا وتعليمًا ودعوة وإحياءً لأصوله ومنطلقاته

(79) انظر: محمد خير موسى، مرجع سابق، ص 21.

(80) انظر: ناصر زين، مرجع سابق.

(81) انظر: أروى الهاشا، «القبيسيات بين السرية والعلنية.. نشاط دعوي أم تعليمي داخل المدارس السورية»، 2013م.

العلمية المتنوعة⁽⁸²⁾، مع أنه انتقد في عدة مجالس من دروسه المسجدية -وكنّا حضورًا- سلوك الأنسات مع التلميذات من غير تسميتهن، كما انتقد بعض فتاويهن المخالفة للشريعة كإباحة دخول الحائض المسجد؛ مع أنهن كن يفتين بحرمة ذلك قبل انتقال دعوتهن للمساجد.

على الرغم من العلاقة المتينة التي تربط الجماعة بالشيخ البوطي؛ فإن نهجه لم يكن مفضلًا بين أعضائها، ومن تحضر عنده منهن تتعرض للنقد الشديد واللوم؛ بل تهم في ولائها للجماعة، فهي إذن علاقة مصلحة في جوهرها وإن غلفت بغشاء رقيق من الإعجاب الفكري، ولهذا التصرف مسوغاته التي تتمثل في عزل الجماعة عن عالم الرجال مهما كانت مراتبهم العلمية.

خاتمة الدراسة

نتناول فيها النقطتين الآتيتين:

أولاً: حاضر الجماعة ومستقبلها

لقد استفادت الجماعة من الفراغ الذي حصل نتيجة خروج الرموز الدينية واعتقالها وهرب كثير من طلاب العلم فوجدن الملعب خاليًا فسعين لتوطيد أركان دعوتهن وتوسيع دائرة النشاط والانتشار، وبعبارة إحدى المعلمات: "سنصل إلى أصغر مسجد في أبعد حي في أقصى قرية"، استفدن كثيرًا من تقريب النظام لهن لتحسين صورته بعد عقد من جرائم الإبادة، وهكذا فقد استحوذن على الساحة الدعوية بلا منازع يدعمهن معلمات حظين بمناصب دينية رفيعة في وزارة الأوقاف، ولم يعد النأي بالنفس في مسرح الأحداث ممكنًا، فأظهر القسم المهيم دعمًا سافرًا للنظام، كما تكررت زيارتهن للقصر الجمهوري إعلانًا للولاء وتعميقًا للصلة وردًا للجميل.

ومن جانب آخر؛ فإنه بسبب الأوضاع المعيشية السيئة في دمشق، فضلًا على غياب الأمان اضطرت كثير من العائلات الدمشقية لمغادرة دمشق طلبًا للأمن وبحثًا عن أماكن استثمار جديدة، وكان ممن خرج بعض النساء القبيسيات، وهؤلاء تباين موقفهن على النحو الآتي:

أ. بعضهن التزمن الصمت المطبق؛ بل أنكرن انتسابهن للجماعة أصلًا.

2. وقسم آخر أظهر ولاءه لهن، وأنه ينبغي فصل الدعوة عن السياسة، وأن الجماعة لا تزال على عهدنا الأول، فلم ير هذا الفريق في كل ما حصل خروجًا عن الحيادية، فولاء بعض الداعيات يمثل موقفًا فرديًا خاصًا لا تتحمل نتائجه الجماعة، وحتى اللقاء المتكرر مع الأسد؛ لعله حصل على وجه الإكراه، ويدللن على صحة رأيهن هذا بإعدام الأنسة فاطمة خباز عام (2013م)، واعتقال الباحثة فاتن رجب عام (2012م) واستمرار غيرهما إلى مكاتب التحقيق الأمنية للاستجواب والمساءلة.

3. قسم ثالث أعلن انشقاقهن عن الجماعة، فظهر ما يسمى حرائر القبيسيات في (2011/12/17)، وصدرت لهن بيانات على مواقع التواصل الاجتماعي دعمًا للثورة⁽⁸³⁾، وذكرن أسباب ذلك الانشقاق، ومنها:

(82) سميرة الزايد، مقدّمة مختصر الجامع في السيرة النبوية، ط1، (دمشق: المطبعة العلمية، 1995م)، ص12.

(83) ينظر: https://www.youtube.com/watch?v=SH7N_BawlT8&fbclid=IwAR0GARgWvbdWmlarEyilsz5soMMQAdm9IhxRYYDUQ-

أ. الفكر السلبي وفصل الدين عن الحياة وقصره على الشعائر التعبدية، وتجاهل دور الإنسان وخذلانه بالوقوف مع الظالم.

ب. الفصل التام بين المبادئ الإسلامية وبين التطبيق، ومن ذلك: قذف أعراض الحرائر الثائرات المعتقلات.

ج. المغالاة في تبني اعتقادات صوفية يرفضها أئمة الصوفية أنفسهم، والخوض في الخرافات والكرامات بوصفها جزءاً من الدين، والتواكل السلبي بدلاً من العمل.

د. التبعية المطلقة وإلغاء العقل، وتجلي ذلك بتقديس الأنسة وإرضائها وأن التقرب منها تقرب إلى الله تعالى.

هـ. استخدام النصوص للترويج لفكر القطيع، وظهر ذلك في طرد الفتيات الثائرات عن الجماعة.

و. حصر العلم الشرعي بكتب معينة توافق منظومتهم الفكرية والالتكاء على الأحاديث الضعيفة والموضوعة والقراءة التجزئية للنصوص القرآنية والنبوية بما يخدم منهجهم.

ز. التثبيط عن الوقوف مع الحق والترويج للباطل، مستغلات بذلك تأثيرهن على شريحة واسعة من الطالبات بوصف الثورة فتنة والتشكيك بشهداء الثورة⁽⁸⁴⁾.

ولكن لم يظهر أي أثر ملموس لهذه الحركة نظراً لضعف نشاطها وقلة أعدادها وجهالة القائمين عليها.

ومع ذلك فقد كان موقف بعض قبيسيات الداخل من هؤلاء ومن سائر التاركات للجماعة سلبياً جداً؛ إذ نعتن بالزهد في الدين والركون لشهوات الدنيا وأهوائها؛ بل التلبس بالفسق والضلال، وحذرنا منهن بوصفهن أشبه بالمردرات، وتناسين الأسباب الحقيقية التي دفعت بعضهن لترك الجماعة والتبرؤ منها، وهي أخطاؤها الدعوية ومواقفها السياسية⁽⁸⁵⁾.

وأما قبيسيات الداخل فقسم عارض النظام ولكن لم يجرؤ على إعلان موقفه وقد تكلمنا عن ذلك من قبل، وأما القسم الأكبر - وهو الذي يمثل الجماعة رسمياً - فقد وقف مع النظام وراهن على قوته في استعادة الأمور إلى سابق عهدها، وبهذا سيستمر في علاقته بالنظام وسيستثمرها استناداً إلى مبدأ المخادمة؛ مع ملاحظة أن نسبة الإفادة غير متناسبة.

ومما يذكر هنا أنه مع ازدياد الانتقاد للقبيسيات انتقدت أيضاً وزارة الأوقاف بسبب احتوائها للجماعة ودعمها، فاضطرت الوزارة لإصدار بيان أكدت فيه "بأنه لا وجود لتنظيم اسمه القبيسيات كما أن هذه التسمية كانت تعود لفترة معينة لم تعد موجودة الآن، وإنما توجد حالياً معلمات مهمتهن تحفيظ القرآن وتفسيره ويعملن في المساجد بناء على رخصة ممنوحة من الوزارة، وفق منهج موحد وأن عددهن بلغ (1200) معلمة، وهن متطوعات لا يتقاضين أجرًا ويعملن تحت إشراف مباشر من الوزارة"⁽⁸⁶⁾.

D1ueu7wIWW83a9K0o4

(84) انظر: <https://www.facebook.com/women.spliton.from.Qubaisiate>

(85) مقابلة، س، 2020.

(86) بيان صادر عن وزارة الأوقاف دمشق في 5 رمضان/ 2 أيار/ 2018.

إن هذا الارتباط العضوي بالنظام سيجعل مصيرهن مصيره؛ فإن أي تسوية سياسية سيصبح الحديث ساعته عن هيكلية جديدة لهن تنسجم والواقع الجديد.⁽⁸⁷⁾

ثانيًا: رأي الجماعة في الجماعة

ترى بعض المعلمات أن للجماعة إيجابياتٍ كثيرةً لا يجوز غمطها، ومنها: العناية بالكتاب والسنة، وتنشئة الفتيات على التعبد والتزكية لتجاوز الأمية الدينية، وأنهن قدمن بحسن إدارتهن للمدارس الخاصة_ أنموذجًا راقيا للتعليم الجيد؛ حيث منحت الأسر المحافظة بديلاً متميزاً؛ كما نجحت الجماعة في إقامة حفلات إسلامية كانت_ وبعبارة إحدهن_ بديلاً من الحفلات الهابطة التي يشيع فيها الاختلاط والمجون والأغاني المحرمة، فضلاً عن مساهمتهم في الحفاظ على الهوية الإسلامية؛ في أشد الأوقات اضطراباً في تاريخ سورية المعاصر، وأخيراً أظهرن التصوف التقليدي بوصفه أكثر علميةً وأقل شططاً وشططاً.⁽⁸⁸⁾

ورد بعض من فارق الجماعة⁽⁸⁹⁾ بأنه لا قيمة لهذه الإيجابيات في الواقع ولا أثر؛ ما دامت استخدمت وسيلةً لتحقيق غايتين سلبيتين: نصره الجماعة بكسب الأتباع، ونصرة الباطل بالانحياز للظالم وخذلان المظلوم، قال تعالى متوعداً محذراً: ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون﴾ [هود: 113]، فأفة الدنيا هي الركون للظالمين؛ لأنه يشجعهم على التمادي في الغي، والاستشراء، وما أرسلت الرسل وأنزلت الكتب إلا نصره للإنسان وحفظاً لحقوقه.

في نهاية هذه الدراسة يمكن الوقوف على أهم نتائجها:

أولاً: الحديث عن دعوة سرية في العاصمة دمشق في عهد نظام أممي لا يستقيم إلا إن أريد أنها سرية بمعنى أن عامة الناس لا يعرفون شيئاً عن حقيقة هذه الجماعة ومبادئها، أو أنها وصفت بذلك من حيث إن نشاطات الجماعة كانت تقام في البيوت أو أن المريدات، وهن القاعدة العريضة، لا يعرفن شيئاً عن أنسات الجماعة.

ثانيًا: استخدم النظام كثيرًا من مشايخ الدين قبل الثورة لعزل أهل السنة عن السلطة، وبعدها لضبط الشارع السني وإسكاته ورشوته، والجماعة القيسية ليست استثناء من ذلك.

ثالثًا: لا يمكن الحديث عن استقلال في الخطاب الديني في سورية، وبالتالي فإن مواقف الجماعات ونشاطاتها ينبغي أن تفسر من خلال صلتها المباشرة أو غير المباشرة بالسلطة، ولكل جماعة دورٌ وظيفي ومساحة هامشية تتحرك فيها؛ خاضعة للتقييم المستمر وإعادة التوجيه بحسب مصلحة النظام.

رابعًا: للجماعة محظوران أساسيان: الظهور الإعلامي، والاقتراب من السياسة، فحافظن على الأول منهما. أما في الجانب السياسي فقد أصبحن_ أعني صاحبات النفوذ والقرار_ بعد الثورة حليفاً للنظام وجزءاً من بنيته.

(87) Ahmad Dadosh م 2020.

(88) مقابلة، س، 2020.

(89) مقابلة، ي، 2020.

ونتهي هذه الدراسة بكلمات معدودات أرسلت على قضاصة ورقية صغيرة تناشد صاحبها _ بحرقه شديدة وألم _ زميلاتها من ذوات النفوذ في الداخل:

« يجب مراجعة مواقفك الدعوية والسياسية، فكم من قارئ للقرآن والقرآن يلعنه، وكم من عابد جاهل أشد خطراً على الدين من إلحاد سافر صاحب؛ لأن الإنسان يصدق الأول ويقتدي به ويقلده، ويعادي الآخر ويحذره، وما نكبت الأديان في التاريخ إلا برجال دين زخرفوا الباطل وجملوه، وحرفوا الحق وكتموه، اللهم إني قد بلغت اللهم فاشهد».

المصادر والمراجع

1. الحلاق. ثائر، الفكر المعاصر قضايا وأعلام، بحث الجندر، نشرة خاصة بطلبة الدراسات العليا (دمشق: جامعة دمشق: 2018م).
2. الزايد، سميرة، مقدمة مختصر الجامع في السيرة النبوية، ط1، (دمشق: المطبعة العلمية، 1995م).
3. السيد، أسامة أحمد، التنظيم النسائي الخطير، ط1، (بيروت/ دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع، 1424هـ).
4. العيطة، درية، فقه العبادات على المذهب الشافعي، (دم: دن، د.ت)
5. المرشد، عباس، الإسلام النائم: الجغرافيا المتدينة: الامتداد والاستيعاب لدى متصوفة الشام، ط1، (الإمارات: مركز المسبار للدراسات والنشر، 2013م).
6. بيرييه. توماس، الدين والدولة في سورية، علماء السنة من الانقلاب إلى الثورة، حازم نهار (مترجمًا) ط1، (الدوحة/إسطنبول: دار ميسلون، 2020)
7. حمودي. عبد الله، الشيخ والمريد النسق الثقافي للسلطة في المجتمعات العربية الحديثة، عبد المجيد جحفة (مترجمًا)، ط4، (المغرب: دار توبقال للنشر، 2010م).
8. غليون، برهان، عطب الذات، وقائع ثورة لم تكتمل: سورية 2011 _ 2012م، ط2 (دم: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2020م).
9. موسى، محمد خير، «القبسيات الجذور الفكرية والموافق السلوكية»، ط1 (إسطنبول/الفتاح: كتاب سراي، 2020م).